



عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

"صورة آل فضل الله العمريّ في ديوان ابن نباتة المصريّ (ت 768هـ)؛

دراسة موضوعيّة وفنيّة"

مريم عبدالله أحمد خطيب

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1441هـ - 2020م

"صورة آل فضل الله العمريّ في ديوان ابن نباتة المصريّ (ت768هـ)؛

دراسة موضوعيّة وفنيّة"

إعداد

مريم عبدالله أحمد خطيب

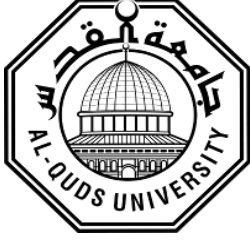
بكالوريوس في اللّغة العربيّة وآدابها من جامعة القدس / القدس - فلسطين

المشرف: د. محمّد يوسف إبراهيم بنات

قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لِمَتطلّبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها من عمادة

الدّراسات العليا في جامعة القدس

1441هـ - 2020م



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

برنامج ماجستير اللغة العربية وآدابها

إجازة الرسالة

"صورة آل فضل الله العمري في ديوان ابن نباتة المصري (ت 768هـ)؛

دراسة موضوعية وفنية"

اسم الطالبة: مريم عبدالله أحمد خطيب

الرقم الجامعي: 21510100

المشرف: د. محمد يوسف إبراهيم بنات

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 6 / 6 / 2020 من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

التوقيع:

1. د. محمد بنات: مشرفاً ورئيساً.

التوقيع:

2. د. بنان صلاح الدين: ممتحناً داخلياً.

التوقيع:

3. د. عمار شبلي: ممتحناً خارجياً / جامعة بيرزيت.

القدس - فلسطين

1441هـ - 2020م

الإهداء

إليك يا نبع الحنان والعطاء ... يا من حكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبك الدافئ... يا من أفنيت ربيع شبابك ... إليك يا من كان دعاؤك سر نجاحي وحنانك بلسم جراحي ... إليك حبيبة قلبي أُمي الحنون... .

وإليك يا من كلل العرق جبينه وشققت الأيام يديه... أنت الذي لم تبخل بأي شيء من أجل دفعي إلى طريق النجاح...إليك يا من كلله الله بالهيبة والوقار ... إليك يا من أحمل اسمك بكل افتخار... إليك أُمي الغالي... .

وإليك يا من جعلتني فتاة مدللة... رجل لا مثيل له... إذ وعدتني أن تكون السند فأوفيت... قصرْتُ فتعافلت... أخفقتُ فأعنت ... أصبْتُ فأيدت... فأنت مصدر ثقتي ... ورفيق دربي... إليك زوجي الحبيب وليد... .

وإليك زهرتي الفواحة...التي بضحكتها تضحك لي الحياة... إليك حبيبة الرّوح والفؤاد... مهجتي وحياتي... ابنتي الحبيبة ماريّا... .

إليكم يا من حبكم يجري في عروقي ... ويلهج بذكركم فؤادي ... إليكم يا من أشدد بكم عضدي... إخوتي الأعزّاء نبيل وناصر ونادر ونائل ونضال ومحمد وأحمد وعلي... .

إليكنّ يا نبض وجداني ... يا من عليهن أعتد ويهنّ أكبر... يا من تطلعتنّ لنجاحي بنظرات الأمل... أخواتي... ميرفت وآية... .

إليكم مع حبّ بلوريّ... ونسمة عطرٍ شديّة... عائلتي الثّانية... أهل زوجي الكرام... .

مريم خطيب

إقرار

أقرُّ أنا مُعدَّة هذه الرِّسالة بأنَّها قدِّمت لِجامعة القدس، لنيلِ درجة الماجستير، وهي نتيجة أبحاثي الخاصَّة، باستثناء ما تمَّت الإشارةُ إليه حيثُما وُرِد، وأنَّ هذه الرِّسالة أو أيَّ جزءٍ منها لم يقدِّم لنيلِ درجةٍ عُليا لأيِّ جامعةٍ أو معهدٍ آخر.

التَّوقيع:.....

مريم عبدالله أحمد خطيب

التَّاريخ: / / 2020م

الشكر والعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادي الأمين... وإنني بعد هذا العمل الذي أسأل الله العليّ القدير أن يكون مسدداً، أشكرك ربي... وأي شكر يليق بنعمك يا كريم؟ شكراً إذ مننت عليّ وأعنتني على إنجاز هذه الدراسة.

شكراً أستاذي: د. محمد بنات... الذي قام بالإشراف على هذا البحث وتعهده بالعناية والاهتمام الكبيرين، شكراً إذ لم تبخل يوماً بتقديم نصيحة أو تقويم خطأ، فكان لتوجيهاتك، وملاحظاتك، وتعليماتك الأثر الكبير في إخراج هذه الرسالة إلى حيّز النور. فأسأل الله تعالى أن يبارك لك في علمك وعملك.

شكراً أساتذتي في الدائرة.

شكراً لكل من ساهم وقدم لي المساعدة والمشورة لإتمام هذه الرسالة.

مريم خطيب

المُلخَص

تتناول هذه الدّراسة صورة آل فضل الله العمريّ في ديوان ابن نباتة المصريّ، المولود في مصر سنة 686هـ والمتوفّى فيها سنة 768هـ بالدراسة الموضوعيّة والفنيّة.

وقد قسّمت الباحثة الدّراسة إلى مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

اشتملت المقدّمة على أسباب اختيار البحث، والأهداف، والأهميّة، والدّراسات السّابقة، والمنهج الذي اتّبعته في إجراء البحث.

ثمّ عرض التّمهيد إلى: المديح في الشّعريّ، ودواعيه، ومدح الأسر والعائلات في العصر المملوكي بصفة عامّة، وخصّصت الحديث عن الأسر التي مدحها ابن نباتة وكانت تربطه فيهم علاقات جيّدة كأسرة السّبكي وفضل الله العمريّ.

تناول الفصل الأوّل: سيرة ابن نباتة المصريّ، وسيرة آل فضل الله العمريّ، وبيان العلاقة التي تربط المادح ابن نباتة بممدوحيه من آل فضل الله إذ خصّهم بعدد كبير من القصائد والمطوّلات في ديوانه. أمّا الثّاني فتناول الدّراسة الموضوعية: صورة آل فضل الله: الدّينية، والنسب، والمكانة، والكرم، والعلم. بينما الفصل الثّالث عرض إلى الدّراسة الفنيّة: اللّغة، والأسلوب والخصائص الفنيّة، والخيال، والموسيقا.

واتّبعت الباحثة المنهج التكامليّ في دراستها؛ فالنّاريخي لتتبع حياة الشّاعر وحياة ممدوحيه، والمنهج الوصفي في سرد الموضوعات، والتحليلي والنّفسي لتحليل الشّعريّ ودراسته دراسة موضوعيّة. وأخيراً تأتي الخاتمة مشتملة على النتائج والتوصيات.

**The image of Al Fadlallah Al-Omari in the Diwan of Ibn Nabatah Al-Masry768 AH,
An Objective and Artistic Study.**

Prepared By: Maryam Abdullah Ahmad Khateeb

Supervisor: Dr. Mohammed Yousef Ibrahim Banat

Abstract:

The researcher divided the study into an introduction, a preliminary, and three chapters, then the conclusion, and the most prominent results and recommendations.

The introduction included the reasons for choosing the research, objectives, relevance, previous studies, and methodology. Then the preliminary included praise in Arabic poetry, and its causes. In addition, praise the families in the Mamluk era.

After that come three chapters: the first deals with the biography of the Al-Fadlallah Al-Omari, the biography of Ibn Nabatah Al-Masry, and the statement of the relationship that links Ibn Nabatah with his praises from the Al-Fadlallah family. The second objective of the study: the image of each Fadlallah: religious, descent, status, generosity, and science. Then the third chapter: artistic study, language, style, artistic characteristics, fiction, and music.

The researcher followed the integrative approach in her study, the historical tracked to follow the life of the poet and the life of his praise, and the descriptive approach in narrative topics, and the analytical and psychological analysis of poetry and studying it objectively.

Finally, the conclusion comes with the most prominent findings and recommendations.

المقدّمة

باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، الصّادق الأمين، وعلى آله، وصحبه أجمعين، أمّا بعدُ،

فيمكن للباحث أن يقتفي الموضوعات الأدبيّة، وينتقي ما يتناسب وذوقه، وتوجّهاته، واهتماماته، لذلك اخترتُ موضوع بحثي المتواضع. وهو بعنوان: "صورة آل فضل الله العمريّ في ديوان ابن نباتة المصريّ (ت768هـ)" عرضتُ فيها لحياته وحياة ممدوحيه، ثمّ درستُ أشعاره فيهم دراسة موضوعيّة وفنيّة.

وتكمن أهميّة البحث في ما وجدته من أشعارٍ قيّمة في الديوان دفعتني إلى دراستها، واستخلاص صفات الممدوحين من آل فضل الله العمريّ، وجمعها، ومقارنتها بعضها ببعض، وكذلك التّوصل إلى العلاقة التي تربط الشّاعر بالممدوحين، وأهم الأسباب التي دفعته لمدحهم، وبيان الصورة التي رسمها الشّاعر لهم.

والأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع: أن ظاهرة المديح في ديوان ابن نباتة تأتي في المرتبة الأولى، فالمديح يمثلّ جلّ شعره على تنوّع موضوعاته: فمنه المديح النبويّ، مديح الملوك، مديح المتعلّقات. بالإضافة إلى أسلوبه ورصانة كلماته، وانسجامها في شعره، وقلة الدّراسات للعصر المملوكي إذا ما قورن بالعصور الأخرى، ومكانة الشّاعر المميزة في عصره فهو "أمير شعراء المشرق" على نحو ما سمّاه عمر موسى باشا، ولن أغفل عن أهميّة الممدوحين من أسرة آل فضل الله العمريّ ذات العلاقة والأصالة الأدبيّة والعلميّة، كما أن هذا الموضوع لم يُدرس من قبل، ولم يطّرقه أيّ باحث من قبل.

وهناك عدد من الدّراسات السّابقة التي تناولت شعر ابن نباتة، وهي:

1. الشّكوى في شعر ابن نباتة، وثام محمد سيّد أنس، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، مكّة المكرّمة. (ص114-256)، العدد الأوّل يناير، 2009م. تناول الباحث في هذه الدّراسة سيرة ابن نباتة، ثم تحدّث عن الشّكوى ومثيراتها، وتناول نماذج من شعر ابن نباتة ودرسها دراسة موضوعيّة، وتوصّل الباحث إلى لمجموعة من النتائج أهمها، أن الشّكوى عند ابن نباتة تعدّ ضرباً من ضروب الاحتجاج على الزّمان، وظهور الأنا عند الشّاعر ويرجع ذلك لمنزلته الأدبيّة السّامية.
2. المديح في شعر ابن نباتة المصريّ، مها محمد الأمين الحاج، (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة أم درمان، 2005م. تقع الرّسالة في 187 صفحة، قسّمت الباحثة أطروحتها إلى مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة: الفصل الأوّل يحتوي على مبحثين: الأوّل الحياة السّياسية والاجتماعية والثّقافية في

العصر المملوكي، وجاء في المبحث الثاني الحديث عن حياة الشاعر، وجاء الفصل الثاني بعنوان شعر المدائح عند ابن نباتة، وتحدث الفصل الثالث عن الخصائص الفنية في شعر المديح عند ابن نباتة، وتتضمن الخاتمة أهم النتائج والتوصيات.

3. أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري، عمر موسى باشا، القاهرة، مكتبة الدراسات الأدبية، 1962. (رسالة ماجستير). تحدث فيها الباحث عن مراحل حياة ابن نباتة، وأغراضه الشعرية، ومؤلفاته النثرية والشعرية، ودعم رسالته بكثير من الأمثلة التي استمدّها من ديوانه، والفقرات النثرية التي استقاها من كتبه ومؤلفاته، وشرحها شرحًا وافيًا.

4. شعر ابن نباتة المصري: دراسة أسلوبية، إيمان يونس صدقي الأطرش (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة الخليل، 2016م. احتوت هذه الدراسة على مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة: تناول الفصل الأول ظاهرة التكرار، ودرس الفصل الثاني ظاهرة الانزياح، أما الفصل الثالث فقد درس بعض الفنون البديعية، وجاءت الخاتمة بأهم النتائج والتوصيات.

تتطلب طبيعة البحث اتّباع أكثر من منهج، لذا اعتمدت المنهج التكاملي لاحتوائه مناهج عدّة: فالمنهج التاريخي في الترجمة لحياة الشخصيات، والمنهج الوصفي في سرد الموضوعات، والمنهج التحليلي عند عرض الأمثلة، وكشف ذائقة الشاعر وأسلوبه.

تمهيد

المديح لغةً: مأخوذ من (مَدَحَ) هو نقيض الهجاء، وحسن الثناء، الاسم منه: المَدْحَة، وتجمع على: مدائح وأماديح⁽¹⁾.

اصطلاحًا: هو حسن الثناء على الإنسان الحي، بوصف ما فيه من مزايا وصفات حسنة⁽²⁾.

كان المديح منذ العصور القديمة يستوعب جلّ أشعار العرب، ويتصدّر موضوعات الشعر، وهو أحد المكونات الأساسية في الشعر العربي، فاهتمّ به الشعراء كثيرًا وبذلوا فيه جهودًا كبيرة، وغلب على دواوينهم فنكاد لا نجد ديوان شعرٍ يخلو من هذا الفن باستثناء ديوان الشاعر الأمويّ عمر بن أبي ربيعة الذي قصره على الغزل⁽³⁾. ولم يختلف حال فن المديح في العصر المملوكي، فظل محافظًا على مكانته بين الفنون والموضوعات الأخرى.

وفي هذا العصر كان مديح الخلفاء والقادة والسلاطين يدين الشعراء، "قالشعر العربي شعر بلاطي، ولا يزدهر إلا في ظل الملوك والأمراء"⁽⁴⁾ فكانوا مولعين بالإشادة بأشخاصهم وسلطانهم، ويتقبلون الشعر ويجيزون عليه الجوائز، ولذلك حظي شعر المديح بعناية فائقة، وتسابق الشعراء وتنافسوا فيه طمعًا ورغبةً في الجائزة⁽⁵⁾. وفي قصيدة للشاعر صفي الدين الحلّي المتوفى (750هـ) يوازن فيها بين عطاء الممدوح وشعر الشاعر، فالشاعر يعطي المعاني أما الممدوح فيعطي المعالي، إذ يقول⁽⁶⁾:

[الطويل]

وقد غبطوا إحسانه ولسانها	لقد حسد الأقوام لفظي وفضله
يشيد المعالي، أو أجيد المعاني	غداة تجارينا إلى السبق، فاغتندي
يرى الزهر أنّي أصبح الغيث هامي	وقالوا: أجذت النظم فيه، أجبثهم

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة مَدَحَ.

(2) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص245.

(3) سلام، الأدب في العصر المملوكي، 24/3.

(4) الجندي، الرّمزية في الأدب العربي، 324ص.

(5) الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص 103-104.

(6) الحلّي، الديوان، ص187.

وكان الشُّعر الأداة الإعلامية الوحيدة لنشر القيم المختلفة في المجتمع، والإسهام في تكوين مشاعر التَّغريب تجاه الممدوح ومكانته؛ مما أسهم في حفاظ قصيدة المديح على مكانتها في مقدمة الشُّعر، وحرص الشعراء على إخراجها بشكل لائق، فامتازت قصيدة المديح بالجودة والرَّصانة والإبداع والتعبير الجيّد⁽¹⁾.

يقسم المديح إلى نوعين⁽²⁾:

الأول صادق، يعبر عن موقف إنساني صريح، وعاطفة صادقة نحو الممدوح، بنعته بصفات حقيقية يمتاز بها.

أما الثاني فكاذب، يكون بذكر صفات لا تنطبق على واقع الممدوح، وينظمه الشاعر؛ طمعاً في العطاء، هو صراع الإنسان من أجل العيش والبقاء. يصح فيه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب: "من خير صناعات العرب، الأبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته، يستنزل بها الكريم، ويستعطف اللئيم"⁽³⁾.

نظم الشعراء في النوعين، وظهر إبداعهم وتميزهم في كليهما، وبرعوا في ابتداع صور ومعان جديدة.

وقد تختلف القيم المدحیة والصفات الحميدة من مجتمع لآخر، فالصفات التي تحظى بتقدير مجتمع ما قد لا تجد الحظوة ذاتها في مجتمع آخر، وكذلك تختلف هذه الصفات والقيم من عصر لآخر، فكثير من القيم الموجودة في عصر الإسلام لا نجدها في عصر الجاهلية، ولكن تبقى هناك قيم ومثل عليا صالحة لكل زمان ومكان، كالقيم الأخلاقية والإنسانية من خيرٍ وعدلٍ ومساواة وكرم وغيرها الكثير. وتختلف هذه الصفات من شخص لآخر ومن فئة لأخرى؛ لذلك لا نجد الصفات كلها والمناقب جميعها محصورة في قصيدة واحدة من قصائد المديح، فالممدوحون ليسوا كلهم من طبقة واحدة ولا يمثلون فئة واحدة، فما يمكن أن نصف به العالم، ربما لا يليق بالقاضي، وما نصف به الأنبياء لا ينطبق على الحاكم أو العالم⁽⁴⁾.

(1) أبو النجا، قصيدة المديح في الأندلس، ص10.

(2) الأبيشي، المستطرف في كل فن مستظرف، 490/1.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، 372/2.

(4) ياسين الأيوبي، آفاق الشعر العربي، ص104. سلام؛ الأدب في العصر المملوكي، 27-24/3.

وتجدر الإشارة إلى أن مكانة المديح ومنزلته اختلّت وتأخرت قليلاً خلال العصر المملوكي، وعلى وجه الخصوص مدح الملوك والسلاطين، وهذا يعود لعدة أسباب أهمها: ضعف الجائزة، وقلة الشعراء المحترفين إذا ما قورنت بالعصور الأخرى، باستثناء بعض الشعراء الذين علت مكانتهم لدى الأمراء والسلاطين والحكام أمثال: ابن نباتة المصري، وصفي الدين الحلّي⁽¹⁾.

أما أغراض المديح فهي كثيرة، منها: المدح المناقب، والمدح السياسي، والمدح النبوي.

أولاً: المدح المناقب

هو ما اتجه به الشعراء إلى مدح القيم المثلى والأخلاق بين الناس والمجتمع، وهذا النوع منتشر في أكثر القصائد والمقطوعات الشعرية، ومنها ما قيل بين الشعراء والعلماء والكتّاب والموقعين⁽²⁾. ولم تكن علاقة الشعراء بعضهم ببعض علاقة ذل ومسكنة؛ ولذلك فهي أصدق أنواع المديح. ومنه مدح ابن نباتة لقاضي القضاة تقي الدين السبكي المتوفى (756هـ)⁽³⁾:

[البسيط]

لو مسّ تهذيبه أو رفقه جراً	مسّته في حالتيه ألف سراً
من بيت فضلٍ صحيح الوزن قد رجحت	به مفاخرُ آباءٍ وأبناءٍ
يا جائداً رام أن تخفى له مننٌ	هيهات ما المسك مطويٌّ بإخفاءٍ

وقول صفيّ الدين الحلّي مادحاً الشهاب محمود الحلبي⁽⁴⁾ المتوفى (725هـ)⁽⁵⁾:

[الوافر]

لك القلم الذي قصرت لديه	طوال السمر في حربٍ وسلمٍ
يراع راع في الخطب الزواهي	جسيم الخطب، وهو نحيف جسم
ففي يوم الندى يجري فيجري	وفي يوم الردى يرمي فيصمي

(1) ينظر: ياسين الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص104؛ سلام، الأدب في العصر المملوكي،

111/2.

(2) ينظر: ياسين الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص105.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص9-10.

(4) أبو التّاء شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبي، المتوفى سنة (725هـ)؛ ينظر: وفيات ابن رافع 223/2.

(5) صفي الدين الحلّي، الديوان، ص305.

ومنه كذلك مدح الملوك والأمراء الذين أحسنوا التدبير والسياسة، واهتموا بأمر رعيّتهم، فاهتمّ بهم الشعراء وشكروا لهم ذلك، ودعوا إلى الاستمرار والاقتداء بهم⁽¹⁾. ومنها مدح البوصيري أحد أمراء زمانه قائلاً⁽²⁾:

[المنسرح]

الطَّاهِرُ الذَّلِيلُ والطَّوِيلُ أَوْ يَكْفِي السَّعِيدَ الْحَرَكَ والنَّصْبُ
مَنْ خُلِقَ كَالنَّسِيمِ يَنْثُرُ إِنْ هَبَّ عَلَيْهِ مِنْ نَشْرِهِ هَبَّةٌ
وَمَنْ إِذَا ذَكَرَتْ سَوْدُدُهُ تَهَزَّيْنِي عِنْدَ ذِكْرِهِ طَرِبَةُ

ثانيًا: المدح السياسي

في هذا النوع من المديح ينظم الشعراء قصائد في ذكر محاسن الممدوح والثناء عليه، وذكر إنجازاته الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وهي قصائد مشابهة لقصيدة الغزل، وأكثر ما يكون هذا النوع في مدح القادة والملوك والأمراء⁽³⁾.

وغالبية هذه القصائد متشابهة فيما تتضمنه من المعاني المطروحة والصفات العامة ومنها مدح ديني، واجتماعي، وعسكري، ومدح الإنجازات العمرانية والعسكرية والسياسية التي تجعل من الممدوح رجلاً مميزاً، ولا يمكن تمييز هذه القصائد ومعرفة صاحبها الممدوح إلا من خلال الإشادة بحسبه ونسبه، وربما بعض الأحداث الواقعة في زمانه⁽⁴⁾. ومنها مدح ابن نباتة الناصر محمد بن قلاوون⁽⁵⁾ قائلاً⁽⁶⁾:

(1) الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص106.

(2) البوصيري، الديوان، ص102.

(3) الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص107.

(4) الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص107.

(5) هو السلطان محمد الأعظم، الملك الناصر، ابن السلطان الملك المنصور، سيف الدين الصالح، المولود سنة

693هـ، والمتوفى 741هـ؛ ينظر: الصّفي، أعيان العصر وأعوان النصر، 5/73.

(6) ابن نباتة، الديوان، ص196.

[الطويل]

لساطان مصر الناصر بن محمد
إلى ناصر من ناصر وكذا على
على كل مصر طاعة البر والبحر
مدى حده المنصور مسترسل النصر
وأنت أجل البيت يا وارث الدهر
أجل بيوت الملك بيت قلاون

ففي هذه المدحة لم يرد إلا الأبيات الثلاثة السابقة التي ذكرت الممدوح وخصوصيته، وما عدا هذه الأبيات فهي تحمل صفات عامة من عدلٍ وسماحة ومقدرة وتقوى وغيرها، وحاول الشاعر جمع هذه الصفات في بيت واحد وهو قوله⁽¹⁾:

[الطويل]

ملك التقى والعلم والبأس والندى
فمدح على مدح وشكر على شكر

ثالثاً: المديح النبوي

احتلت قصيدة المديح النبوي مكانة كبيرة عند كثير من شعراء العصر المملوكي، لكن نشأة هذا النوع كانت قديمة منذ الشاعر المخضرم كعب بن زهير في لاميته الشهيرة "بانت سعاد"⁽²⁾. أما من سبق إلى هذا النوع في العصر المملوكي هو الشاعر زكي الدين بن أبي الإصبع، وركز في مديحه النبوي على معجزة القرآن الكريم في بلاغته حيث قال⁽³⁾:

[الطويل]

وآيته العظمى بلاغة ما به
تفرد في عصر البيان بيأته
أتى من كتاب فضله ليس يُجد
بأسلوبه إذ نظمه متفرد

تجدر الإشارة -هنا- إلى أن هذا النوع هو أصدق أنواع المديح، فالشاعر يكون مخلصاً في مدحه، لأنه يتوجه إلى ممدوح لا يشبه غيره من البشر، ولا ينتظر مقابل هذا المديح جائزة ولا جاهاً ولا وظيفة، بل ينشد رضا الرحمن سبحانه وتعالى ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم وآل بيته، ولينعم

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 197.

(2) سلام، الأدب في العصر المملوكي، 24/3.

(3) تذكرة النبيه، 263/2.

بلذة الإيمان والدّين. فأشاد الشعراء بسماحة رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، وأخلاقه وسنته ومعجزاته وسيرته العطرة، وذكروا الغزوات والفتوحات⁽¹⁾، وخير مثال همزية البوصيري التي يقول فيها⁽²⁾:

[الخفيف]

أنت مصباح كل فضلٍ فما تصـ م دُرْ إلا عن ضوئِكَ الأضواءُ
لك ذات العلوم من عالم الغيـ م بٍ ومنها لآدمُ الأسماءُ
لم تزل في ضمائر الكون تُختـ م رُ لك الأمهاتُ والآباءُ
ما مضت فترةٌ من الرُّسلِ إلّا بشّرت قومها بك الأنبياءُ
تتباهى بك العُصُورُ وتسمو بك علياءُ بعدها علياءُ

وانتقد الشاعرُ شرف الدّين الأنصاري⁽³⁾ شعراء عصره الذين يتوجهون إلى الملوك والأمراء طمعًا بالجائزة، وحثهم على توجيه مديحهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال⁽⁴⁾:

[الكامل]

يا ناظم الدرّ الثمين ومهدي النـ م ظم الرّصين لفاضلٍ أو مفضلٍ
جانب مخادعة الملوك عن اللّها⁽⁵⁾ فالمال يذهبُ والخصاصة تنجلي

هيكلية القصيدة

إن قصيدة المدح لا تكون خالصة، وإنما يشاركها غرض بعينه أو آخر، من نسيب وغزل ووصف، وفي بعض الأحيان تتجاوز هذه الأغراض النصف، وفي أحيان أخرى لا تقل عن الثلث أو الربع، رغم أن القصيدة تندرج تحت عنوان قصيدة المدح، ولكن هذا الشكل للقصيدة كان منذ العصور

(1) الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص 117.

(2) البوصيري، الديوان، ص 51.

(3) هو أبو محمد، عبد العزيز بن محمد بن عبدالمحسن بن محمد بن منصور بن خلف، المولود سنة 586هـ، والمتوفى

سنة 662هـ. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/231.

(4) عمر موسى باشا، الأدب في بلاد الشام، ص 336.

(5) اللها: جمع لُهوة، وهي العطية، أو أفضل العطايا وأجزلها، ويُقال: اشتراه بلُهوة من مال حفنة والألف من الدنانير

والدّراهم. المعجم الوسيط، 2/843.

القديمة، وظلت هذه القصائد على النسق ذاته في العصر المملوكي، فطرز الشعراء قصائدهم مدحهم بالغزل الخمري، والطبيعي، وفي بعض الأحيان الهجاء والفخر، غير أنّ المديح ظلّ محافظاً على نسبة النّصف وأكثر. وأغلب هذه المقدمات تكون في الغزل، وتبقى بعض المقطوعات والقصائد دون مقدمات على الإطلاق⁽¹⁾.

ومثال على قصيدة المديح ذات المقدمة الغزلية مديح ابن نباتة في علاء الدين بن الأثير المتوفى 730هـ، فقال⁽²⁾:

[الوافر]

فربّ دجّى لنا فيه عناقٌ	تغوص به القلائدُ في النّحورِ
زمان العيشِ مبتسمُ الثّنايا	ووجهُ الأنسِ وضّاح السّرورِ
ووصلُ معذّبي جناتٍ عدنٍ	لباسي فيه ضمٌّ كالحريرِ
ترومُ يدايَ في خصرِيهِ مسرّى	ولمّكن ضاق فتّر عن مسيرِ

مدح الأسر والعائلات:

لم يقتصر المديح على فئة معينة، ولم يختص بطبقة دون غيرها، فقد مدح الشعراء العلماء والكتّاب والشعراء والقضاة، وبعض العائلات في العصر المملوكي امتازت بالعلم والتقوى، وكان أغلب أفرادها من العلماء والكتّاب، وكان الشعراء يمدحون هذه الأسر وأفرادها، ومن الأسر التي اشتهرت بالعلم والعراقة والتقوى في هذا العصر:

أولاً- أسرة فضل الله العمري

وهي أسرة جلييلة من الأسر التي تقلّدت مناصب رفيعة في ديوان الإنشاء في القاهرة ودمشق زمنا طويلا، ورأس هذه الأسرة: محيي الدّين بن فضل الله العمري، وشهاب الدّين أحمد بن محيي الدّين، وأخيه علاء الدّين علي بن محيي الدّين، وأخيه بدر الدّين بن محيي الدّين، وسأتناول سيرة هذه الأسرة الفاضلة بالتفصيل في الفصل الأوّل إن شاء الله.

(1) ينظر: عمر موسى باشاء، الأدب في بلاد الشام، ص 407-408. الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص 113.

(2) ابن نباتة، الدّيان، ص 212-213.

ثانيًا_ أسرة ابن الأثير

وهي أسرة عريقة ذات علم وجاه، وكانت منافسة لعائلة آل فضل الله العمري في تولي مناصب الكتابة في الدولة، فتقلد جماعة من أبنائها مناصب رفيعة في دولة المماليك، واشتغلوا بالكتابة والعلم والأدب، وكان مقر هذه الأسرة الحلبية القاهرة⁽¹⁾.

أما رأس هذه الأسرة فهو شمس الدين بن الأثير⁽²⁾ وكان من أعيان الموقعين في دمشق، وتولى الكتابة بها سنين طويلة⁽³⁾، وله أبناء عملوا في ديوان الإنشاء وهم:

شرف الدين محمد بن الأثير.⁽⁴⁾

وتاج الدين أحمد بن الأثير.⁽⁵⁾

ثالثًا_ أسرة السبكي

وهم بيت معروف في عصر المماليك، واسم السبكي نسبة إلى موطنهم "سبك" في مصر، رأس هذه الأسرة هو القاضي تقي الدين⁽⁶⁾، الملقب بشيخ الإسلام، وقد اشتهر عنه تعصبه لأشعريته. ومن

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 200/8؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 136/2.

(2) هو شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد الكاتب الرئيس وكان من أعيان دمشق؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 136/8.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 34/8.

(4) هو شرف الدين محمد بن سعيد بن الأثير عمل بدمشق كوالده وكان من أعيانها، توفي سنة 720هـ. ابن حجر، الدرر الكامنة، 45/3.

(5) هو تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير، وكان أشهرهم هو وابنه علاء الدين أحمد بن الأثير، وتوفي تاج الدين سنة 691هـ، ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، 34/8. أما ابنه علاء الدين علي بن أحمد بن سعيد أصيب بالفالج ومات سنة 730هـ. ابن حجر، الدرر الكامنة، 14/3-16.

(6) هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن تقي الدين ولقب بشيخ الإسلام، توفي سنة 756هـ. السيوطي، حسن المحاضرة، 177/1.

أبنائه:

بهاء الدين السبكي⁽¹⁾.

وتاج الدين السبكي⁽²⁾.

وقد مدح الشاعر ابن نباتة علاء الدين بن الأثير قائلاً⁽³⁾:

[الوافر]

ولي لفظ رقيق الورد جزل	كما نبع الزلال من الصخور
سما شعري وعاد على علاهم	فلقبناه بالفلك الأثيري
وأحسن ما سرى بيت لطيف	يُصاغُ ثناه في بيت كبير

وقال في تقي الدين السبكي⁽⁴⁾:

[الكامل]

لاقيته والحال أنكد ما أرى	فأعادني والحال أوفق ما أشأ
أمشي إلى القوت الزهيد وربما	أعلو فلا مدحي ولا حالي مشى
وأبيت أرعى النيرات تخالني	بالسرج عن ماضي الكرام مفتشا
حتى مددت إليه راحة عائل	طاو فجعلنا نداءه وكرشا

وكان الشعراء في هذا المديح يصفون الممدوح بصفات عدة، أهمها: النسب، والدين، والكرم، وغيرها، ويبالغ أحيانا كثرة في وصفهم بالكرم، وغالبًا ما تكون هذه الصفة مشتركة في جل قصائدهم

(1) هو أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، يلقب ببهاء الدين، ولي قضاء الشام ثم ولي قضاء العسكر، توفي سنة

773هـ. الزركلي، الأعلام 479/1.

(2) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي أبو نصر قاضي القضاة، لقب بتاج الدين، مؤرخ، وباحث، توفي

سنة 771هـ. السيوطي، حسن المحاضرة، 220/1.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص214.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص275.

المدحية، ولا تكون في كل الحالات صادقة، ولكن قد يتعمدها الشاعر ليستثير حماسة العطاء لدى الممدوح، وبخاصة إذا كان من الأسر العريقة ذات السلطة والنفوذ في الدولة⁽¹⁾.

ومن الصفات المهمة أيضا التي لم يغفلها الشاعر عند مدح الكتاب والعلماء، الحديث عن الطروس والأقلام، فأصحاب هذه الأدوات هم العلماء والقضاة والكتّاب، فكانوا يكثرّون من وصف الورقة والمداد، ويصفون بيانهم وإبداعهم وعلمهم وأدبهم، وكانوا يرفعون الممدوح فوق غيره من سروات الكتاب⁽²⁾.

(1) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص247؛ محمود سالم، الأدب في العصر المملوكي، ص200.
(2) بكري الشيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي، 2/234. عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص247.

الفصل الأول

سيرة ابن نباتة المصري وآل فضل الله العمري

المبحث الأول: سيرة ابن نباتة المصري:

أولاً_ اسمه ولقبه وكنيته.

ثانياً_ نسبته ونشأته.

ثالثاً_ شيوخه.

رابعاً_ مراحل حياته.

خامساً_ طريقته في النثر والنظم.

سادساً_ موضوعات شعره.

سابعاً_ تلاميذه.

ثامناً_ وفاته.

تاسعاً_ علاقة الشاعر بممدوحيه من آل فضل الله.

المبحث الثاني: آل فضل الله العمري:

أولاً_ محيي الدين بن فضل الله العمري.

ثانياً_ شرف الدين بن فضل الله العمري.

ثالثاً_ بدر الدين بن فضل الله العمري.

رابعاً_ بدر الدين بن فضل الله العمري.

خامساً_ علاء الدين بن فضل الله العمري.

سادساً_ شهاب الدين أحمد بن فضل الله.

المبحث الأول سيرة ابن نباتة المصري:

أولاً_ اسمه ولقبه وكنيته:

هو محمد بن محمد بن محمد بن شرف الدين محمد بن أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطاب عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة، فارقي الأصل. يلقب: جمال الدين، ويكنى أبا بكر⁽¹⁾، وذُكر أيضاً أبو الفضائل⁽²⁾.

ثانياً_ نسبته ونشأته:

موطن أجداده ميفارقين⁽³⁾، وينسب إلى هذا البلد الذي عُرف به جده خطيب الخطباء: سيف الدولة عبد الرحيم بن نباتة⁽⁴⁾.

ولد ابن نباتة في مصر سنة 686هـ ، وعاش وترعرع فيها⁽⁵⁾. ونشأ في أسرة ذات العلم والجاه والنفوذ، وكانت ونقل عن والده وجده وكلاهما من علماء مصر، وكثيراً ما فخر شاعرنا بأبيه وآله وبمجد بيته⁽⁶⁾.

وروي عن المؤرخين أن ابن نباتة ولم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من حينما دخل على (ابن دقيق العيد) في بيت كتبه، فأعطاه كتاباً، فنظر ابن نباتة إلى الكتاب وأطال النظر واستغرق فيه، حتى إنه لم يشعر بقدوم والده، فتعجب الشيخ ابن دقيق العيد، وتنبأ له بمستقبل باهر في الأدب⁽⁷⁾.

(1) الزركلي، الأعلام، 35/7-38؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، 4/216؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 59/11.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 11/95؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ص311؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 4/217.

(3) النسبة إليها فارقي، مدينة قديمة كانت من أشهر مدن الجزيرة الفراتية، تقع في ديار بكر، فيها آثار إسلامية. الحموي، معجم البلدان، 5/235.

(4) محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، 3/337.

(5) الزركلي، الأعلام، 7/35؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 4/217.

(6) محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، 3/337.

(7) محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، 3/337.

ثالثاً_ شيوخه:

تتقل في حلقات العلم والأدب، وتفتحت موهبته الأدبية في سن مبكرة، كان والده أستاذ الأهل فأخذ عنه مبادئ العلوم والأدب، ودرس على القاضي الفاضل محيي الدين بن نشوان⁽¹⁾ الكاتب المصري، والشيخ الإمام بهاء الدين بن النحاس⁽²⁾ النحوي، وشمس الدين صاحب⁽³⁾، والشيخ شهاب الدين أحمد المعروف بابن المفسر⁽⁴⁾، وسراج الدين عمر الوراق⁽⁵⁾ المصري، ونصير الدين المناوي الحمامي⁽⁶⁾، وعبد الرحيم الدميري⁽⁷⁾ في الحديث، والفخر بن البخاري⁽⁸⁾

(1) هو القاضي محيي الدين أبو الفضل، عبدالله بن رشيد الدين، أبو محمد عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدي الرومي المصري، ولد سنة 620هـ، وتوفي سنة 692هـ، من مؤلفاته: "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر" و"تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور"؛ السيوطي، حسن المحاضرة، 570/1.

(2) هو بهاء الدين محمد بن إبراهيم النحاس الحلبي، صاحب كتاب "التعليقة على المقرب"، ولد سنة 627هـ، وتوفي سنة 698هـ؛ الكتبي، فوات الوفيات، 295/3.

(3) هو محمد بن عثمان بن أبي الرجاء صاحب، شمس الدين التتوخي الدمشقي، وزير السلطان الملك الأشرف خليل ابن قلاوون ونديمه؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 64/4.

(4) هو أحمد بن محمد شهاب الدين المعروف بابن المفسر؛ تقي الدين الحموي، خزنة الأدب وغاية الأرب، 579/2.

(5) هو عمر بن محمد بن حسن، سراج الدين الوراق، أبو حفص، مصري الأصل، شاعر وأديب، له ديوان شعر، ولد سنة 615هـ، وتوفي سنة 695هـ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 69/8.

(6) هو نصير بن أحمد بن علي المناوي، واشتهر بنسبته الحمّامي، ولد سنة 609هـ، وتوفي سنة 704هـ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 103/27.

(7) هو عبد الرحيم بن عبد المنعم بن يخلف، الدميري، المصري محيي الدين وشمس الدين، ولد سنة 603هـ، وهو قارئ المصحف بجامع عمرو بن العاص، توفي سنة 695هـ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 431/5.

(8) هو علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن فخر الدين، أبو الحسن المقدسي، المشهور بالفخر البخاري، ولد سنة 595هـ، وتوفي بدمشق سنة 690هـ، من مؤلفاته: "أسنى المقاصد وأعذب الموارد"؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 32/8؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 324/13.

رابعًا_ مراحل حياته:

تقسم حياة ابن نباتة المصري إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

منذ ولادته حتى بلوغه الثلاثين، وقضاها في مصر، وعاش في جو ديني وعلمي، وفيها تتلمذ ودرس العلوم والأدب والفقه والحديث وعلومًا أخرى، وتفتحت باكورة شبابه، ونضج فيها شعره، بدأ ابن نباتة في قرض الشعر في سن مبكرة إذ لم يتجاوز الثالثة عشرة، وقد أجمع علماء عصره أنه أستاذ زمانه علمًا ودينًا، وزيادة على ذلك أنه شاعر وأديب⁽¹⁾. ونظم في فيض النيل، وهو طفل لم يبلغ الحلم فقال⁽²⁾:

[مجزوء الكامل]

وافـت أصـابـع نـيـلـنـا وطمـت فأكمـدت الأعـادي
وأـتـت بـكـل جـمـيـلـة هـذي أصـابـعُ ذـي أيـادي

وبعد أن أنهى ابن نباتة تعليمه بدأ كفاحه في الحياة، وأهم ما قام به هو افتتاح كتاب ليتكسب بالتعليم، ولكنه كان قليل الحظ والدخل، وكان شعره كل ما يملك. وتزوج ابن نباتة في هذه المرحلة وأنجب كثيرًا من الأولاد ولكن لم يعيش له سوى ولد واحد اسمه محمد، وأشهر ممدوحيه في تلك الفترة هما بدر الدين وشرف الدين أبناء فضل الله العمري⁽³⁾.

المرحلة الثانية:

كانت أكثر مراحل حياة الشاعر نشاطًا ونتاجًا، سافر ابن نباتة إلى الشام بسبب الفقر والاحتياج، ومن ثم هاجر إلى حماة، فكان كثيرًا ما يذهب العلماء والأدباء إلى بلاط الملك الأيوبي لينالوا من عطاياه، واستقرّ الشاعر هناك، وألف الكثير من القصائد والمقطوعات والكتابات، وبقي في

(1) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص114-118.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص163.

(3) ابن حجر، الدرر الكامنة، 373/1؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 295/9.

حماة مدة لا تقل عن خمس عشرة سنة، ومدح في هذه المرحلة أسرة آل فضل الله العمري وهي أول أسرة اتصل بها الشاعر ومدحها، ومدح أعياننا في دواوين السلاطين، وكذلك مدح عائلة ابن الأثير⁽¹⁾. واتصل بالملك المؤيد أبي الفداء⁽²⁾ صاحب حماة، وخصص له راتباً في كل سنة، وقال ابن نباتة فيه شعراً كثيراً، ولما مات رثاه بمرثية طويلة، وبعدها اتصل بابنه الملك الأفضل، ومن ثم ترك حماة وزهد في الحياة، وبدأ يبحث عن رزقه في مكان آخر⁽³⁾.

ومن ثم اتصل في حلب ببعض رؤسائها ومدحهم، وبعد ذلك تولى مناصب الكتابة في دمشق، وكان أحد الموقعين، واتصل بالسلطان الناصر حسن وتولى منصباً في الدست سنة 761هـ. واستلم الشاعر وظيفة في ديوان الإنشاء وأعانه على ذلك شهاب الدين بن فضل الله العمري، ولما عزل شهاب الدين من منصبه لم يستمر ابن نباتة في عمله أكثر من سنتين، فقد كثر أعداؤه وحساده، وتفرغ لنظم الشعر، وانتقل من مدح آل فضل الله إلى مدح آل السبكي منهم تقي الدين وابنه تاج الدين، حيث كان أمير الشام في زمانه⁽⁴⁾.

المرحلة الثالثة:

عاد الشاعر في هذه المرحلة إلى وطنه مصر، ومدح السلطان الناصر حسن وأسرته، وحفظ السلطان له مكانته، فهو أديب كبير في بلاد المشرق، حيث أمر بنسخ ديوانه وحفظه في المكتبة السلطانية⁽⁵⁾.

وفي مصر كانت خاتمة حياته، توفي ابن نباتة في الثامن من صفر من سنة 768هـ⁽⁶⁾. وقد أحسّ بدنوّ أجله، فأنشد في إحدى قصائده قائلاً⁽⁷⁾:

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 322/14؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 223/4.

(2) هو إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد عماد الدين بن الأفضل بن المظفر بن المنصور تقي الدين الأيوبي السلطان عماد الدين، صاحب حماة؛ ابن كثير، الدرر الكامنة، 216/1.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 295/9.

(4) ابن إياس، تاريخ ابن إياس، ص 223؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 95/11.

(5) ابن حجر، الدرر الكامنة، 223/4؛ ابن إياس، تاريخ ابن إياس، ص 224.

(6) ابن حجر، الدرر الكامنة، 373 / 1.

(7) ابن نباتة، الديوان، ص 250.

[الخفيف]

صاح هذي أواخر العمر قد ول لى وهذي أواخر الأشعار
أنجم قُلْتُهَا أوان مشيبي فْهِي لا شكَّ لنجمُ الأسحار

خامساً_ طريقته في النثر والنظم:

سار ابن نباتة على الطريقة المصرية في شعره، وأسلوبه كان مزيجاً ما بين السهولة والوضوح والميل إلى ضروب البديع المختلفة، فهو حامل لواء الشعراء وأمير الشعر كما اعتبره معاصروه، فقال عنه ابن كثير (ت774هـ): "كان حامل لواء الشعر في زمانه"⁽¹⁾، وقال عنه ابن إياس: "كان من فحول المولدين، له شعر جيد فاق به على من تقدمه من الشعراء"⁽²⁾⁽³⁾.

ومن مؤلفاته الشعرية: "القطر النباتي"، و"السبعة السيارة"، و"سوق الرقيق"، و"منتخب الهداية في المدائح النبوية"، و"قرائد السلوك في مصائر السلوك"⁽⁴⁾.

أما نثره، فيشبه كثيراً نثر معاصريه، كثير البديع من مثل: الجناس والطباق والتورية والتشبيهات والاستعارات، وقد حمل لواء الطريقة الأفضلية نسبة إلى الإمام القاضي الفاضل، وكان تأثره به واضحاً في شرح رسالة ابن زيدون "سرح العيون"، وتأثر كثيراً بالقرآن الكريم والسنة النبوية وكان ذلك واضحاً في كتاباته وأشعاره⁽⁵⁾.

وله عدة مؤلفات نثرية منها: "مطلع الفوائد" و"رسالة العيون في شرح رسالة ابن زيدون" و"سجع المطوق"، لكن مستوى الشاعر في النثر أقل درجة من شعره، فيعد شاعراً لا كاتباً، وعُدَّ أشعر المتأخرين على الإطلاق⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ ابن كثير، البداية والنهاية، 225/14.

⁽²⁾ ابن إياس، تاريخ ابن إياس، ص 223.

⁽³⁾ محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ص 341-344.

⁽⁴⁾ محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ص 346.

⁽⁵⁾ محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ص 345.

⁽⁶⁾ عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 303.

سادساً_ موضوعات شعره:

تناول الشاعر موضوعات محدودة تقتصر على ثلاثة مواضيع: المدح، والغزل، والثناء. وأكثر شعره في المدح، الذي يشغل الحيز الأكبر من شعره، مثله في ذلك مثل معظم الشعراء، فهو مصدر رزقهم، فيعتمدون على عطاياه، فمدح الملوك والسلاطين والأمراء، ومدح الكثير من أصحاب السلطة والجاه طمعا في عطاياهم، ولكنه لم يغفل، ولم تشغله أمور الدنيا، فتوجه ببعض قصائده لمدح رسولنا الكريم، عليه الصلاة والسلام، إلى جانب مدائحه الإخوانية والقاضوية والأيوبية⁽¹⁾.

سابعاً_ تلاميذه:

تتلمذ على ابن نباتة نفر من كبار الشعراء والأدباء، ساروا على طريقته وأسلوبه، منهم: الشيخ صلاح الدين الصفدي⁽²⁾، والشيخ زين الدين عمر بن الوردي (ت749هـ)، والشيخ برهان الدين القيراطي (ت781هـ)⁽³⁾، والشيخ إبراهيم المعمار (ت749هـ)⁽⁴⁾، والشيخ بدر الدين حسن الزغاري (ت753هـ)⁽⁵⁾.

وكان صلاح الدين الصفدي (ت764هـ) من أكثر أدباء العصر تأثراً بابن نباتة، فيختزع المعنى الغريب في الشعر الذي لم يسبقه إليه أحد من الشعراء، فيعارضه فيه صلاح الدين ويأخذه منه

(1) محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ص245؛ عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص233-234.

(2) هو خليل بن أبيك بن عبدالله صلاح الدين الصفدي، أبو الصفاء، الإمام، والشاعر، والمؤرخ الكبير، ولد في صفد سنة 696هـ؛ الزركلي، الأعلام، 2/315.

(3) هو إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن عكر بن مظفر بن نجم، الإمام العالم العلامة، برهان الدين ابن مفتي المسلمين شرف الدين الطائي، ولد سنة 726هـ، وتوفي سنة 781هـ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، 89/1.

(4) هو جمال الدين إبراهيم بن علي المعمار، أديب وشاعر، له ديوان شعر، توفي بمرض الطاعون سنة 749هـ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 1/409.

(5) هو الحسن بن علي بن حمد بن إبراهيم بن شنار، بدر الدين الغزي الزغاري، ولد في غزة سنة 706هـ، برع في النظم، وله رسالة سماها "قريض القريب" ذكره شهاب الدين بن فضل الله في ذهبية القصر، وتوفي سنة 753هـ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 2/22-24.

وزناً وقافية وينسبه لنفسه⁽¹⁾. وقد ألّف رسالة جمع فيها كل ما قاله فأخذه صلاح الدّين، وسمّى هذه الرسالة: "خبز الشعير" وقد بدأ خطبة هذه الرسالة بقوله: "ربّ اغفر لي ولوالديّ، ولمن دخل بيتاً مؤمناً"⁽²⁾.

وجاء في "خبز الشعير" قوله⁽³⁾:
قلت أنا:

[الوافر]

بروحي عاطر الأنفاسِ ألى مليء الحُسنِ حالي الـوجنتين
له خالان في دينارٍ خـدٍ تُباعُ له القلوبُ بحبّتين

يتغزل الشاعر بمحبوبته ويشبه رائحة أنفاسها بالعطّر، ويصف جمال وجهها، وما يزيده جمالاً وجود خالين على خدها، وهذا الجمال لا يقاوم فهو قادر على اجتذاب القلوب والإيقاع بها. فأخذه الشيخ الصّفدي وزاد في وصف ذلك الحسن؛ فيصف خدها الأحمر والذي غدت فيه الشامة علامة الجمال وشرط المحبة، فكأن الجمال نفسه قد وقع في حبه ودفع لها بتلك الشامة ثمناً للمحبة. فقال:

[الوافر]

بروحي خده المحمر أضحت عليه شامة شرط المحبة
كان الحسن يعشقه قديماً فنقطه بدينارٍ وحبّة

ثامناً_ وفاته:

ولد جمال الدّين بن نباتة في بيت علم وأدب، وهو من أحيا أسماء أجداده الأدباء والخطباء، فجدّه الخطيب عبد الرحيم الجذامي بن نباتة، المتوفى 374هـ، اشتهر بالخطابة ولقّب بخطيب الخطباء، خلفه بعد ذلك ابنه عبد الرحيم المتوفى 390هـ، واشتهر كذلك بالخطابة، واشتهرت هذه

(1) محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ص 243.

(2) محمد كامل الفقي، الأدب العربي في العصر المملوكي، ص 129.

(3) محمد كامل الفقي، الأدب العربي في العصر المملوكي، ص 131.

الأسرة العريقة بالقضاء، ومن ثم ابنه شمس الدين محمد بن نباتة والد شاعرنا جمال الدين، يعتبر من أشهر شيوخ الحديث، وورث جمال الدين بن نباتة عنهم العلم والخطابة والأدب والشعر⁽¹⁾. يقول ابن نباتة معتدًا بوراثته الأدب عن آبائه وأجداده⁽²⁾:

[الوافر]

ورثتُ اللَّفْظَ عَنْ سَلَفِي فَأَكْرَمُ بِآلِ نَبَاتَةِ الْغُرِّ السَّرَاةِ
فَلَا عَجَبٌ لِلْفَظِي حِينَ يَحْلُو فَهَذَا الْقَطْرُ مِنْ ذَاكَ النَّبَاتِ

وكان جمال الدين بن نباتة آخر مشاهير هذه الأسرة وانطفأت شعلتها بوفاته. عاش الشاعر حياته مدًا حيا يبحث عن رزقه، كثير الشكوى من حالته وقلة رزقه وسوء حظه، وكثيرًا من قصائده المدحية لم تكن صادقة وإنما أجبرته ظروفه وأحواله السيئة على قولها أملًا ورغبة في الحصول على العطاء أو منصب أو جاه، فقضى العمر يمدح ولكنه غير راضٍ عن هذه الحال⁽³⁾. فيقول⁽⁴⁾:

[الهزج]

قَضَيْتُ الْعَمَرَ مَدَا حَا وَهَذَا يَا أَخِي الْحَالُ
فَقِيرُ الْوَجْهِ وَالْكَفِّ فَلَا جَاءَ وَلَا مَالُ

تاسعًا_ علاقة الشاعر بممدوحيه من آل فضل الله:

قضى ابن نباتة حياته مدًا حيا، يمدح السلاطين والملوك والأمراء، ومدح إخوانه العلماء والأدباء، ولم تكن علاقته بكل من مدحهم علاقة ذلة وضعة وهوان، وإنما كانت في كثير من الأحيان تربطه بممدوحه علاقة صداقة وود واحترام، ومدحه يحمل عاطفة صادقة خالية من أي مصلحة. وإن خلت

(1) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 206.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 80.

(3) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 248.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 426.

قصائده من العاطفة الصادقة وكان هدفها المصلحة والرغبة في العطاء والإثابة، فهي اعتراف للممدوح بفضله وعلو شأنه وقيمته العلمية والأدبية بين رجال عصره من العلماء والأدباء⁽¹⁾.

إن أسرة آل فضل الله أول أسرة اتصل بها الشاعر، فمدح أعيانها الأدباء ممن تولوا مناصب في دواوين السلاطين المماليك في مصر والشام، واستمرت علاقة الشاعر بهذه الأسرة في معظم مراحل حياته⁽²⁾.

فمدح الوالد: محيي الدين بن فضل الله العمري وأبناءه:

شهاب الدين بن فضل الله.

وعلاء الدين بن فضل الله.

وبدر الدين بن فضل الله.

وقد اقتضت ضرورة البحث أن نخص الحديث عن اثنين من أفراد هذه الأسرة وهما: شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري، وعلاء الدين علي بن فضل الله العمري؛ نظرًا لكثرة الأشعار التي قيلت فيهما. وبلغ مجموع الأبيات الشعرية في علاء الدين 1184 بيتًا، وفي شهاب الدين 402 بيتًا.

أول ممدوحيه من أسرة آل فضل الله: هو الوالد محيي الدين بن فضل الله العمري ومدحه في قصيدتين، ولم يكن أول ممدوح لابن نبأته في حياته فقد اتصل الشاعر قبل ذلك بأخويه بدر الدين، وشرف الدين ومدحهما⁽³⁾.

ومن المؤكد أن يكون الشاعر قد عرف ممدوحه محيي الدين خلال عهد أبي الفداء، ولكن كان ابن نبأته قد قصر مديحه في تلك الفترة على ملكه المؤيد وإخوانه، وبعد موت مليكه المؤيد بدأ شاعرنا يعاني ويشكو في شعره من هذه المرحلة، فبدأ يمدح كل من يعرف ومن لا يعرف ليحصل على رزقه، وربما يكون محيي الدين من ممدوحيه الذين مدحهم دون أن يلقاهم، فكان يبعث قصائد مدح فيهم وينتظر الرد على ذلك⁽⁴⁾.

(1) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 240-248.

(2) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 116.

(3) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 174.

(4) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 175.

مدحه الشاعر بقصيدتين تموران بالشكوى المريرة، والشكوى كانت الصفة الغالبة على قصائده في تلك المرحلة الصعبة من حياته، ومحيي الدين كان كاتب سر السلطان في القاهرة ولهذا كتب له الشاعر ابن نباتة⁽¹⁾. وفي قصيدته الأولى يقول⁽²⁾:

[الطويل]

وقائلة ما بال عزمك صابراً	على القدح في الدنيا على أثر القدح
فقلت رأيت السمر أقوم ما ترى	إذا صبرت عند النفاق من اللجج
فقلت: دع التقليل عنك وقم إلى	نوافج فضل الله في زمن الفرج
وبادر لمحيي الدين تلق شمائلاً	مدربة لم تدر ما هيئة الشج

بدأ الشاعر قصيدته بالفخر بنفسه؛ فهو الصبور على مصائب الدهر وابتلاءاته، إذ جعل له صاحبة تسائله عن سوء حاله، وتقدم له النصيح للخلاص من ذلك البؤس، والخلاص يكمن في الاتصال بأهل الفضل والعطاء أمثال: محيي الدين فلو اتصل بهم لما عرف البخل والشح والفقر. وفي القصيدة الثانية يقول⁽³⁾:

[البسيط]

حامي حمى الملك بالأقلام مشرعة	على المنى والمنايا حول واديه
لو ألقيت كعصا موسى على حجر	تفجر الماء من أقصى نواحيه
جاءت بيحيى معاليه مبشرة	فصدقت يده بشري معاليه
ذاك الذي يستمد النيل أنعمه	فما الأصابع إلا من أياديه

يتحدث الشاعر عن محيي الدين ويصفه بأنه حامي حمى ملكه بأقلامه المشرعة التي شبهها بعصا موسى عليه السلام، فهنا يستحضر التراث الديني، فلو ألقيت على صخرة لتفجر الماء من

(1) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 175.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 101.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 565.

أقصى نواحيها، ويتحدث عن المعالي التي جاءت بيحيى، وكرمه المصداق لما بشرت به، وذكر أن النيل من يستمد الجود منه، وأن النيل ليس إلا أصابع معدودات من يده التي تفيض بالنعم.

وثاني ممدوحيه من هذه الأسرة: هو بدر الدين بن فضل الله العمري، وكان من أعيان الكتاب في ديوان السلطان، وقد مدحه الشاعر بقصيدتين:

القصيدة الأولى عدتها 38 بيتاً، وهي ذات طابع مصري، بدأ الشاعر قصيدته بالنسيب والبكاء، فكان مقلداً لمن سبقه من الشعراء، ومن ثم انتقل الشاعر من النسيب للمديح ولكنه لم يحسن ذلك التخلص بسبب صغر سنه في ذلك الوقت فقد نظمها وهو دون العشرين من العمر⁽¹⁾. فوقف الشاعر مع صاحبيه في السبك يبيكي ويستبكيها، ووصف لهفته وشوقه لمصر، وتغنى بأرضها ونيلها، ووصف طريقه لسواد عيونها وجمالها، ولا يقبل أن يلومه أحد في هذا الحب والشوق. وفي مطلعها يقول⁽²⁾:

[الطويل]

خَلِيلِي مِنْ مِصْرَ قَفَا نَبْكَ فِي السُّبْكِ ⁽³⁾	عَلَى عَيْشِنَا بِالنَّيْلِ فِي فُلْكَ الْفَلْكَ
عَلَى مِصْرَ، وَالْهَفِي عَلَى مِصْرَ لَهْفَةً	يَصِحُّ بِهَا قَلْبِي الْمَشُوقُ عَلَى السُّبْكِ
وَيَا طَرِبِي فِيهَا إِلَى سُودِ أَعْيُنِ	عَلَى مِثْلِهَا فِي كُلِّ دَاجِيَةٍ أَبْكِي
أَعَاذَتِي مَا أَنْتِ مَنِّي فِي الْهَوَى	وَلَا أَنَا فِي أُنْسَابِ هَذَا الْهَوَى مِنْكِ

وفي القصيدة نفسها ذكر آل فضل الله مادحاً فقال⁽⁴⁾:

[الطويل]

بُكْمُ آلِ فَضْلٍ اللَّهِ طَافَتْ مَقَاصِدِي	وَتَمَّ عَلَى نَجَجِ الرَّجَا بِكُمْ نُسْكَي
رَفَضْتُ الْوَرَى لَمَّا عَلِقْتُ حِبَالَكُمْ	وَنَزَهْتُ دِينَ الْحَبِّ فَيَكُمُ عَنِ الشَّرْكِ
وَسُرَّ فُؤَادِي أَنَّ أَقْلَامَ بَدْرِكُمْ	سُرُورٌ لَذِي وَدٍ وَغِيْظٌ لَذِي مَحْكَ

(1) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 117-118.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 365.

(3) السُّبْكُ: بضم أوله وسكون ثانيه وآخره كاف، هو علم مرتجل لاسم موضع. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 34/3.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 365.

يتحدث الشاعر عن آل فضل الله، ويذكر فضلهم وكرمهم، فبهم وصل إلى أكثر مما يحتاج، وبهم يكتفي ولا يكون بحاجة لأحد من الخلق، ولا يشرك بحبهم أحد، وقلبه سعيد مسرور لأن أقلام ممدوحه سرور لكل محب، وفي البيت الثالث أشار إلى بدر الدين بن فضل الله ويخصّه بالمديح، وغيظ لكل مجادل بالباطل.

وفي هذه المرحلة من حياة الشاعر والتي بدأها بمدح بدر الدين لم يكن مستكملًا صورته الشعرية الذاتية، فقد بدأها مقلدًا في مطلع النسيب، ولم يحسن التخلص من النسيب التقليدي إلى غرض المديح⁽¹⁾.

أما القصيدة الثانية: فقد نقلها ابن نباتة بعد موت بدر الدين إلى أخيه شهاب الدين، وتحتوي هذه القصيدة على 34 بيتًا، وفي هذه القصيدة بادرة جديدة في الشعر العربي، حيث إنه لم يبدأها بالغزل بل أخره وختم به قصيدته، وهذا أول تجديد للشاعر في بداية عمره⁽²⁾. ويقول الشاعر في مطلع هذه القصيدة⁽³⁾:

[الطويل]

هنيئًا لأفقي الفضل، إنك بدره وإن سجايك الكريمة زهره
قدمت قدوم الغيث يهمني نواله ويعبق رياه وبسس ثم غره

يتحدث الشاعر عن فضل بدر الدين ويذكر أخلاقه الكريمة ويقول إنها عطرة كالزهر، ويشبهه قدومه بالغيث كثير العطايا، ويصف رائحته الطيبة وابتسامته. والقصيدة الثالثة قالها الشاعر في رثاء بدر الدين، وفيها يقول⁽⁴⁾:

[البسيط]

بكى لك العاليان: القدر والهمم والماضيان: سنان الرأي والقلم
يا غائبًا، أظلمت دار غيبته وهكذا البدر تدجو بعده الظلم

(1) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 118-119.

(2) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 119.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 211.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 460.

(يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيءٍ بعدكم عدم⁽¹⁾)
رحلت عن عادي صبرٍ وما قدروا "أن لا تفارقهم فالراحلون هم"⁽²⁾

يبكي الشاعر فراق بدر الدين، ويذكر صفاته فهو عالي القدر والههم، صاحب الرأي السديد، والقلم، ويقول إن بغيابه أظلمت الدار فكان هو القمر المنير، ويتألم لفراقه، ولا يرى شيئاً جميلاً بعده فكل شيء بعده عدم لا قيمة له.

أما ثالث ممدوحيه من أسرة آل فضل الله: شهاب الدين بن فضل الله العمري، وهو من كبار ممدوح ابن نباتة، وقد ارتبطت علاقة قوية بينهما وأخلص له في مدحه وحفظ له الود، فعندما كان ابن فضل الله كاتب الإنشاء بدمشق ساعد ابن نباتة فأدخله ديوان التوقيع، وكان يسعى طوال حياته للوصول إليه ليحصل على هذا المنصب، فمدحه بأكثر من خمس عشرة قصيدة ومقطوعة، وحتى بعد أن تم عزل شهاب الدين ظل الشاعر يمدحه، فقد كانت تربطه به علاقة صداقة قوية ليس أساسها العطاء، وإنما كانت قائمة على حب مجرد من أي منفعة⁽³⁾.
فيقول الشاعر⁽⁴⁾:

[الطويل]

علقتُ بجبلٍ من مودته التي هي الذخرُ لأبيض الثراء وصفرة

وقد أشار إلى قدم علاقته بآل فضل الله، فقال⁽⁵⁾:

[الكامل]

يا آل فضلُ الله مدحكُم إني القديم وشغبكم شغبي
أقلامكم للملك حافظه ونوالكم في المجد للنهب
وصحبتم ملكاً فما خدعت يمتناه خدع الآل بالصحب

(1) البيت للمتنبى، وهو في ديوانه ص 365.

(2) البيت للمتنبى ضمنه الشاعر في قصيدته؛ المتنبى، الديوان، ص 365.

(3) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 185.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 208.

(5) ابن نباتة، الديوان، ص 34-35.

يتحدث الشاعر عن مدحه لآل فضل الله، ويشير إلى قدم الصداقة التي تربطه بهم منذ زمن، ويذكر أعلامهم الحافظة للملك، ومكانتهم وعلو شأنهم.

وعرف عن شهاب الدين كرمه ولقد أعطاه الشاعر حقه في الثناء، فلم يقل في أحد مدائح مثل ما قاله في هذا الممدوح ومن ذلك⁽¹⁾:

[الطويل]

أَنْجَلَ الْعُلَى، قَابَلْتَنِي سَاعَةَ الْعُلَى مُقَابِلَةً لَأَقَى بِهَا الْقَلْبَ جَبْرَهُ
فَحَسْبُكَ مِنْ قَلْبِي صَفَاهُ وَوَدَّه وَحَسْبُكَ مِنْ لَفْظِي دُعَاهُ وَشُكْرَهُ
وَحَسْبُكَ عَبْدٌ بِالْجَمِيلِ مَلَكَتَهُ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَمَجِدُ الْقَلْبِ حَرَهُ

يذكر الشاعر نسب شهاب الدين الطيب، ويتحدث عن مقابلاته له وعطفه ومواساته لقلبه المنكسر، ويقول إن قلبه مخلص بحبه له، وألفاظه تدعو له وتشكره، وإنه أصبح له عبد مملوك بذلك الجميل والعطف والكرم.

وظل الشاعر حافظاً لشهاب الدين فضله بأن أدخله ديوان التوقيع، وأول مرة في حياته يشغل منصباً مهماً⁽²⁾، فأشار إلى ذلك في مدائحه قائلاً⁽³⁾:

[الوافر]

عُظِفَتْ عَلَيَّ فِي زَمَنِ حُرُونٍ وَجُودَتْ بِرَغَمِ أَيَّامٍ شِحَاحٍ
وَقَرَّبَنِي جَنَابُكَ بَعْدَ بَعْدٍ وَنَهْنَهَ حَاسِدِي بَعْدَ الْجَمَاحِ

يذكر الشاعر عطف شهاب الدين عليه رغم ظروفه السيئة، فقد قيلت هذه القصيدة بعد أن أعفي ممدوحه عن أمانة السر، ويذكر الحساد والأعداء فقد بُلي شاعرنا بكثرة الحساد.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 212.

(2) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 186.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 104.

وتحدث الشاعر عن علمه وأدبه وفضله على الجاحظ (ت255هـ) والقاضي الفاضل وغيرهما من أدباء العصر⁽¹⁾، فقال⁽²⁾:

[الوافر]

وَأَعْرِفْتُ ابْنَ بَخْرٍ فِي بَيَانٍ أَطَافَ بِهِ عَلَى لُجَجِ فَسَاحٍ

هذا البيت لا يخلو من مبالغة؛ فقد شبّه الشاعر بيان شهاب الدّين بالبحر شديد الموج، فطاف به الجاحظ واختفى، لم يعد موجوداً أمام شهاب الدّين.

وقال⁽³⁾:

[الطويل]

رَأَيْتُ ابْنَ فَضْلِ اللَّهِ فَاضِلَ دَهْرِهِ إِذَا اعْتَبَرْتَ أَلْفَظَهُ وَسَعُودَهُ
إِذَا ابْنُ عَلِيٍّ وَابْنُ يَحْيَى تَسَاجَلَا فَقُلْ: طَارِفُ الْمَجْدِ الرَّضِيِّ وَتَلِيدُهُ

فبنيت هذه العلاقة على حبّ متبادل بين الشاعر وممدوحه، فقرابة الآداب تقصر دونها قرابة الأنساب، فهي أعمق وأقوى وأبقى في النفس الإنسانية على مدى الزمان. فرغم عزل شهاب الدين وأنه لم يعد يستطيع أن يغدق عليه بالعطايا إلا أن علاقتهما ظلت متينة قوية أساسها المودة المتبادلة، وتطورت هذه العلاقة فيما بعد وانقلبت من مدح إلى مطارحات شعرية في فن الشتويات⁽⁴⁾.

وممدوحه الأخير من هذه الأسرة: هو علاء الدّين بن فضل الله العمري، بدأت علاقته به في دمشق خلال زيارته لها، وكانت تربطه بالشاعر أيضاً علاقة قوية، فبعد عزل شهاب الدّين من منصبه، لم يبقَ ابن نباتة في منصبه أكثر من سنتين، وقد أعانه علاء الدّين على الرجوع لهذا المنصب بعد انقطاع دام قرابة ثلاث سنوات، وولّاه نظارة القمامة⁽⁵⁾ بالقدس أيام زيارة النّصارى لها، وهي عملٌ خاص

(1) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 187.

(2) ابن نباتة، الدّيان، ص 103.

(3) ابن نباتة، الدّيان، ص 144.

(4) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 188.

(5) يريد كنيسة القيامة.

يقوم به بالإضافة إلى عمله الرسمي في التوقيع بدمشق، وقد انصرف ابن نباتة لمدح علاء الدين⁽¹⁾. فقال فيه الكثير من الأشعار منها⁽²⁾:

[الكامل]

والدَّهْر سِلْمٌ كَيْفَمَا حَاوَلْتَهُ لَا مِثْلَ دَهْرِي فِي دِمَشْقَ مُحَارِبَا
هَيْهَاتَ يَقْرِبُنِي الزَّمَانُ أَذَى وَقَدْ بَلَّغْتَ شِكَايَتِي الْعِلَاءَ الصَّاحِبَا

يشير الشاعر إلى سهولة الحياة ويسرها في مصر، ويقول إنها لن تكون مثل حياته الصعبة في الشام، فلن يستطيع أحد إيذاؤه بعد أن أصبح في رعاية وحماية علاء الدين. ظلَّ الشاعر يمدح علاء الدين، لكن العلاقة قد ساءت بينهما، فقد ذكر في إحدى قصائده أنه بريء لا ذنب له، ويشير في القصيدة إلى بعض الناس وهم يحاولون دفعه عن قوت يومه⁽³⁾. فيقول⁽⁴⁾:

[الطويل]

إِذَا رَفَعْتَ قَدْرِي بِمَدْحِكَ لَيْلَةً تَيَقَّنْ قَصْدِي أَنَّهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
وَقَضَّيْتَهَا، وَالنَّيِّرَاتُ تَمْدُنِي سَلَامًا وَتَسْلِيمًا إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ
عَلَى أَنَّ عِنْدِي كَأْسَ شَكْوَى أَدِيرَهَا عَلَى السَّمْعِ مَمْزُوجًا بِدَمْعِي الْغَمْرِ

يقول الشاعر بأنه عندما يمدح علاء الدين يرتفع قدره ومقامه، وشبه الليلة التي يمدحه فيها بليلة القدر في عظمتها وهذه الليلة تُستجاب فيها دعوته، فتكون سلامًا حتى مطلع الفجر، ويذكر شكايته المريرة الممزوجة بدمعه الغمر.

(1) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 188.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 27.

(3) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 205.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 202.

وقال في القصيدة نفسها⁽¹⁾:

[الطويل]

أَيْكَسَرَ حَالِي بِالْجَفَاءِ وَطَالَمَا	تَعَوَّدْتُ مِنْ نِعْمَاكَ عَاطِفَةَ الْجَبْرِ
وَيَدْفَعُنِي عَنْ قَوْتِ يَوْمِي مَعْشَرٌ	وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَافِذُ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
وَلَوْ كَانَ ذَنْبٌ لَاعْتَرَفْتُ بِهِ وَلَا	تَحِيلْتُ فِي عُذْرٍ وَلَا جُنْتُ مِشْنَ غَفْرِ

يتساءل الشاعر هل يكسر حاله بعد أن تعود على العطف والمواساة، ويتحدث عن حزنه لأن معشراً من إخوانه يحاولون دفعه عن قوت يومه، ويذكر سلطة ممدوحه عليهم، ويقول بأنه لم يرتكب ذنباً، ولو أنه مذنّب لاعتترف، ولما حاول أن يعتذر لنفسه ويفتش عن عذرٍ مقبول. وهكذا كانت أيام ابن نباتة الأخيرة مع آخر ممدوح عرفه في حياته، كانت حياة متعبة يوم فيه يرتاح، ويوم آخر يذوق فيه المرّ⁽²⁾.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 202.

(2) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 206.

المبحث الثاني آل فضل الله العمري:

تمتاز أسرة ابن فضل الله العمري بعراقتها في مضمار الأدب والعلم، وقد شغل كثير من أفرادها منصب صاحب ديوان الإنشاء لأكثر من قرن تقريباً⁽¹⁾. وسأقدم نبذة تعريفية لأفراد هذه الأسرة العريقة كما وجدتتها في المصادر التي وقفتُ عليها:

أولاً- محيي الدين بن فضل الله العمري (ت 738هـ)

هو أبو المعالي محيي الدين بن فضل الله بن المجلي بن دعجان العمري القاضي الكبير، ولد في الكرك سنة (645هـ)، وقد شغل منصب كتابة السر السلطاني في الشام، ثم القاهرة، ولما تولى كتابة السر في القاهرة بعد علاء الدين بن الأثير، وعظمت منزلته لدى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، أمر الناصر أن يكتب له توقيعاً يستمر بموجبه هو وأولاده على صحابة ديوان الإنشاء بالممالك الإسلامية، وكان محيي الدين كاتباً بارعاً، ورجلاً تقياً فاضلاً. ومدحه العديد من شعراء عصره، ومنهم الشاعر ابن نباتة المصري. وقام محيي الدين بخدمة جماعة من السلاطين في الكتابة، وذلك قبل أن يتولى منصب كتابة السر، ومن هؤلاء السلاطين: السلطان حسام الدين لاجين⁽²⁾، والأشرف خليل⁽³⁾، أما في دمشق فقد خدم نائب السلطنة الأمير تنكز⁽⁴⁾.⁽⁵⁾ توفي محيي الدين بالقاهرة سنة (738هـ)⁽⁶⁾.

(1) ينظر: العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، مقدمة المحقق، ص4.

(2) هو الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبدالله المنصوري، أمير جيش في دمشق ومصر، توفي بمرض الطاعون سنة 664هـ؛ الصفدي، أعيان العصر، 182/4.

(3) هو الأشرف صلاح الدين خليل ابن المنصور قلاوون، وكانت ولايته 689هـ - 693هـ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 385/13.

(4) هو سيف الدين تنكز، نائب السلطنة في الشام، توفي سنة 742هـ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 420/10.

(5) محمد سلام، الأدب في العصر المملوكي، 439/2.

(6) الصفدي، أعيان العصر، 571/5-572.

ثانيًا_ القاضي شرف الدين بن فضل الله العمري (ت717هـ)

أبو محمد عبد الوهاب بن فضل الله الأثير القرشي، ولد سنة (623هـ)، عرف عنه أنه كاتب مترسل، تعاني الكتابة، وأجاد الخط، وتبوأ مكانة مرموقة في الكتابة في عصره. كانت وفاته سنة (717هـ) ⁽¹⁾.

ثالثًا_ بدر الدين بن فضل الله العمري (ت746هـ)

هو محمد بن محيي الدين يحيى بن فضل الله العدوي العمري، ولد سنة (701هـ)، وقد تولى كتابة السر بعد أخيه علاء الدين، وذلك سنة (743هـ)، أيام الملك الصالح إسماعيل ⁽²⁾، ولم يتولَّ بدر الدين بعد أخيه علاء الدين الوظيفة استقلالاً وإنما ناب عنه إلى حين حضوره. توفي سنة (746هـ) ⁽³⁾.

رابعًا_ بدر الدين بن فضل الله (ت 706هـ)

محمد بن فضل الله بن المجلي العمري القرشي، أخو كاتب السر محيي الدين، كانت ولادته سنة (634هـ)، وهو من أعيان الكتّاب البارزين. كانت وفاته سنة (706هـ) ⁽⁴⁾.

خامسًا_ علاء الدين بن فضل الله العمري (ت 769هـ)

علي بن يحيى بن فضل الله بن مجلي العدوي العمري، ولد سنة (712هـ)، وقد تولى كتابة السر السلطاني في مصر بعد عزل أخيه شهاب الدين سنة (735هـ)، وذلك بعد أن تقدّم السلطان الناصر إلى والده محيي الدين بأن يدع علاء الدين يقرأ البريد وينفّذ المهام مكان أخيه، وبعد وفاة والده تولى هذه الوظيفة بمفرده، وقد استمر بكتابة السر بعد وفاة الملك الناصر وطوال حكم السلطان المظفر ⁽⁵⁾ والسلطان الناصر حسن ⁽⁶⁾.

(1) ينظر: الصفي، الوافي بالوفيات، 317/19-324 رقم (298).

(2) هو عماد الدين الصالح أبو الفداء إسماعيل ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون، وهو السلطان السادس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية، والرابع من أبناء محمد بن قلاوون؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 78/10.

(3) ابن حجر، الدرر الكامنة، 174/4-175؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 339/7.

(4) ينظر: الوافي بالوفيات 328/4-329؛ تقي الدين المالكي، إيضاح بغية أهل البصرة في ذيل الإشارة ص96.

(5) هو زين الدين حاجي، المعروف بأمير حاج ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهو السلطان الثامن عشر من ملوك الترك بالديار المصرية، والسادس من أولاد الملك الناصر محمد؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 148/10.

(6) هو ناصر الدين أبو المعالي حسن ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن المنصور قلاوون، تولى السلطنة سنة 748هـ وأيضاً سنة 755هـ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 139/3.

وقد قام بهذه الوظيفة أحسن قيام، وكان في منصبه سعيد، وقد شغل هذا المنصب أكثر من ثلاثين سنة، وكان عالماً فاضلاً وكاتباً وأديباً، لديه من الوقار والسياسة والرئاسة والرأي الشديد والهمة العالية الكثير، وكان شاعراً من أوائل أبياته⁽¹⁾:

[البسيط]

بان الحمى لم يمس من بعد بعد كم ولا تغنت به ورقاؤه طربا
يا جيرة خلفوني في ديارهم أجري الدموع على آثارهم سحبا

وقد أعجب ببيتين، كان قد نظمهما الصفدي، وهما⁽²⁾:

[الكامل]

إني لأعجب من صدودك والجفا من بعد ذاك القرب والإيناس
حاشا شمائلك اللطيفة أن ترى عوناً علي مع الزمان القاسي

فقال مجيراً⁽³⁾:

[الكامل]

أو تغرك الصافي يرُدُّ حُشاشتي تشكو لهيباً من لظى أنفاسي
تالله ما هذي طباعك في الهوى لكن حظوظ فسّمت في الناس

وكانت وفاة القاضي علاء الدين بن فضل الله العمري سنة (769هـ)، رحمه الله تعالى⁽⁴⁾.

(1) ابن حبيب، تذكرة النبيه، 316/3-318. وهناك دراسة مستفيضة عن حياته في رسالة الماجستير التي تقدم بها الباحث علي غريب، بعنوان: "شعر ابن فضل الله العمري (ت749هـ) جمع وتوثيق ودراسة"، جامعة الخليل، 2008م.

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، 324/22.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، 324/22.

(4) ابن حبيب، تذكرة النبيه، 316/3.

سادساً_ شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري (ت 749هـ)

هو أحمد بن يحيى بن فضل الله بن يحيى بن المجلي بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، كنيته: أبو العباس. ويلقب: شهاب الدين. ولد في دمشق في الثالث من شوال سنة (700هـ)⁽¹⁾.

مراحل حياته:

تأثر شهاب الدين بصناعة والده كثيرًا، ولمّا كان والده كاتب السر في مصر في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون⁽²⁾ عاونه في وظيفته، فأصبح يقرأ البريد على السلطان وينفذ المهام، وتولّى منصب قاضي في مصر بعد ذلك، ومن ثمّ أصبح خليفة والده فتولّى رئاسة ديوان الإنشاء، وجعله السلطان مشرفاً على البريد، ولكن لم تظل أحوال العمري حسنة طيبة على حالها، فكان قويّ الشخصية معتدّاً بنفسه لا يهاب أحداً حتى السلطان، فاعترض السلطان بتعيين علم الدين بن القطب⁽³⁾ كاتباً للسر، وامتنع عن الاستجابة لأمر السلطان كتابة الزيادة لابن قطب في راتبه وذلك لأنه قبضي، وفاجأ السلطان بكلام غليظ، فعزله، وجعله حبيس بيته، وقام بتعيين علاء الدين مكانه⁽⁴⁾.

وعاش شهاب الدين حياة بائسة وبخاصة بعد وفاة والده، فكتب للناصر طالباً السماح له بالسفر إلى الشام، لكن الجواب على هذا الطلب كان باعتقاله وسجنه ومصادرة أمواله، وبعد الإفراج عنه عاد ليتولّى منصب كتابة السر في دمشق، وظلّ في ذلك المنصب حتى أُعفي منه، وبقي العمري دون عمل حتى مماته في 749هـ⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الصّفي، الوافي بالوفيات، 252/8، أعيان العصر، 420/1؛ الزركلي، الأعلام، 268/1؛ الكتبي، فوات الوفيات، 12/1.

(2) هو الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون، أصغر إخوته، ولد سنة 684هـ، تولّى السلطنة وهو في التاسعة من عمره، وأقصى عن الحكم غير مرة، وتوفي سنة 741هـ؛ الصّفي، الوافي بالوفيات، 353/4.

(3) هو محمد بن أحمد بن مفضل بن فضل الله المصري، الكاتب علم الدين ابن قطب الدين المعروف بابن القطب، ناظر الجيش بالشام، المتوفى سنة 760هـ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 223/3-224.

(4) ابن حجر، الدرر الكامنة، 194/1؛ الصّفي، أعيان العصر، 574/5.

(5) الصّفي، الوافي بالوفيات، 254/8؛ ابن حجر، الدرر الكامنة.

شيوخه:

أخذ شهاب الدين العلم على أعلام الشيوخ: فقرأ العربية على الشيخ ذؤيب الشهبي⁽¹⁾، وقرأ الفقه على شهاب الدين الدزداري⁽²⁾، وقرأ "الأحكام الصغرى" على ابن تيمية⁽³⁾، والأدب على والده وشمس الدين الصائغ⁽⁴⁾، والنحو على أبي حيّان⁽⁵⁾ والزملكاني⁽⁶⁾، ودرس "الأصول" على الأصفهاني⁽⁷⁾، وقد ذكرها الصفدي في كتابه "الوافي بالوفيات" بالتفصيل⁽⁸⁾.

صفاته وآراء العلماء فيه:

كان شهاب الدين ذا قدرة عالية في الكتابة والنظم، وصاحب شخصية قوية وصورة جميلة، يمتاز بالذكاء، والحافظة القوية، وهذا باتفاق المؤرخين والأدباء المعاصرين⁽⁹⁾. قال الصفدي: إن شهاب الدين اجتمعت فيه صفات لم يرها في أحد غيره، وهي الذكاء، والحافظة القوية، فكان يذكر أشياء من زمن متقدم، وكأنها مرت به في وقت قريب، وكان حسن القريحة في النظم والنثر، حسن المذاكرة، سريع الاستحضار، كما يمتاز بحسن الذوق. وذكر الصفدي أن العمري

(1) هو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدي، ت. 726هـ؛ ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، 2/261.

(2) هو محمد بن عبدالله بن الحسين بن علي الأريلي الدمشقي الدزداري، ت. 738هـ؛ ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، 284/3.

(3) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس؛ ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، 1/88-96.

(4) هو محمد بن الحسن بن سباع الدمشقي الأديب شمس الدين ابن الصائغ، برع في النظم والنثر، ت. 720هـ؛ ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، 3/255.

(5) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الغرناطي، أبو حيّان الأندلسي، ت. 745هـ؛ ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، 4/185-189.

(6) هو محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين، المعروف بابن الزملكاني، ت. 727هـ؛ ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، 4/7-8.

(7) هو محمود بن عبد الرحمن بن أحمد العلامة شمس الدين أبو الثناء الأصفهاني، ت. 749هـ؛ ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، 4/200.

(8) الصفدي، الوافي بالوفيات، 8/254-255.

(9) الصفدي، الوافي بالوفيات، 8/253؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 1/194.

كان ذا معرفة بتراجم أهل عصره ومن سبقهم، وكذلك معرفة تاريخ ملوك المغول، ويعرف الممالك والمسالك ومواقع البلدان، وأيضًا حل التقويم وصور الكواكب⁽¹⁾.

واتفق تقي الدين المقرئزي (ت845هـ) مع صلاح الدين الصفدي في رأيه حول العمري: فذكر حافظته القوية، وأشاد ببلاغته وفصاحته، ومعانيه القيمة الجميلة، وقدرته العالية في النظم والنثر، ومعرفته بتراجم الناس في عصره، ومن تقدمهم⁽²⁾.

أما ابن حجر فشبه العمري بالقاضي الفاضل⁽³⁾ في زمانه في بلاغته وفصاحته وصناعة الإنشاء⁽⁴⁾.

وأشاد ابن الوردي (ت749هـ)⁽⁵⁾ بمنزلة العمري في الإنشاء وحسن النظم والنثر⁽⁶⁾.
أما ابن كثير⁽⁷⁾ فقد أشار إلى حب العمري للفقراء والعلماء، وذكر أخلاقه الحميدة⁽⁸⁾.
وركز ابن حبيب⁽⁹⁾ على الجانب الديني عند العمري فذكر صفاته الدينية: "كان عابداً، صالحاً، زاهداً، طاهر القلب، يأمر بالعدل والإحسان ويقوم الليل"⁽¹⁰⁾.

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات، 253/8.

(2) المقرئزي، المقفى الكبير، 733/1.

(3) هو عبد الرحيم بن علي بن القاضي الأشرف بهاء الدين بن القاضي السعيد بن الحسن بن أحمد بن المفرج، أبو علي، ولد سنة 529هـ، وتوفي سنة 596هـ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 126/6.

(4) ابن العماد، شذرات الذهب، 160/6.

(5) هو زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي، أبو حفص، الإمام، والفقيه، والأديب، والشاعر، ولد سنة 689هـ، وتوفي بمرض الطاعون سنة 749هـ، من مؤلفاته: "البهجة الوردية" و"لامية ابن الوردي"؛ الكتبي، فوات الوفيات، 157/3؛ الصفدي، أعيان العصر، 677/3.

(6) أبو الفداء، تنمة المختصر، 502/2.

(7) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درج القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ، ومؤرخ، وفقيه، ولد سنة 701هـ، وتوفي سنة 774هـ، من مؤلفاته: "البداية والنهاية" و"شرح صحيح البخاري"؛ الزركلي، الأعلام، 320/1.

(8) ابن كثير، البداية والنهاية، 215/14.

(9) هو الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، بدر الدين أبو محمد، أبو طاهر، دمشقي الأصل، حلبى المولد والنشأة، ولد سنة 710هـ، وتوفي سنة 779هـ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 29/2.

(10) ابن حبيب، درة الأسلاك، 230.

وذكر ابن العماد (ت1089هـ)⁽¹⁾: أن العمري كان يكتب بسلاسة وسهولة ما يعجز عنه غيره من الأدباء⁽²⁾.

وقال القلقشندي⁽³⁾: إن كتابة العمري كانت تقوم على التخييل والمحسنات البديعية المختلفة من سجع وتورية وغيرها من المحسنات، وأنه كان ذا معرفة بأسرار البلاغة، وكان يهتم بالجواهر فقط⁽⁴⁾. ومقابل هذه الآراء الإيجابية هناك آراء سلبية:

فوصفه المقرئ بحدّة المزاج والشراسة، وذكر أن هذه الصفات كانت سبباً في عزل الناصر له⁽⁵⁾. وقال القلقشندي إنه كان يعامل الناس بغلظة⁽⁶⁾، وكذلك ابن العماد قال إنه كان شرساً غليظاً⁽⁷⁾. وبعد عرض القليل مما قيل في العمري أخلص إلى أنه كان صاحب شخصية عظيمة مرموقة في عصره، فبشهادة الأدباء والمؤرخين: كان عالماً في النظم والنثر، صاحب أخلاق ومبادئ، جميل الصورة، ذكياً، فطناً، صاحب حافظه قوية، ملتزماً دينياً، رحيماً محباً للفقراء والعلماء، معتداً بنفسه، شخصيته قوية، لايهاب أحداً، يثق بنفسه وبأفكاره حتى لو عارض السلطان بذاته، بالإضافة إلى معرفته بالعلوم المختلفة: التاريخ والجغرافيا والأدب والتراجم، فقلما اجتمعت هذه الصفات في شخص واحد.

(1) هو عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري، الحنبلي، أبو الفلاح، مؤرخ، وفقهه، وعالم بالأدب، ولد سنة 1032هـ، وتوفي سنة 1089هـ، من مؤلفاته: "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" و"شرح متن المنتهى؛ الزركلي، الأعلام، 290/3.

(2) ابن العماد، شذرات الذهب، 160/6.

(3) هو أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل شهاب الدين الفزاري، القلقشندي، القاهري الأصل، الشافعي، ولد سنة 756هـ، وتوفي سنة 821هـ، من مؤلفاته: "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" و"ضوء الصبح المسفر؛ الزركلي، الأعلام، 177/1.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، 23/1.

(5) المقرئ، المقفى الكبير، 732/1.

(6) القلقشندي، صبح الأعشى، 301/11.

(7) ابن العماد، شذرات الذهب، 160/6.

مؤلفاته:

أشهر مؤلفاته:

1. كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، وهو كتاب يقع في سبعة وعشرين مجلدًا ضخماً، وللكتاب أهمية كبيرة، إذ يعد أقدم مصدر لوصف دولة المماليك والدول المعاصرة لها، حيث وصف الطرق والمسالك والبلدان، ووصف كل ما يتعلق بحياتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والثقافية⁽¹⁾.
2. كتاب: "التعريف بالمصطلح الشريف" وهو كتاب في مجلد واحد، وضع في مراسم الملك وما يتعلق به، وجاء الكتاب في سبعة أقسام: رتب المكاتبات، وعادات العهود والتقاليد، ونسخ الأيمان، والأمانات والدفن، ونطاق الممالك وما هو مضاف إليها من المدن والقلاع، في مراكز البريد، في أوصاف ما تدعو الحاجة إلى وصفه⁽²⁾.
3. كتاب: "عرف التعريف بالمصطلح الشريف" عني هذا الكتاب بالألقاب المستخدمة في المكاتبات الإخوانية. وتكمن أهمية هذا الكتاب كونه أول كتاب في الأدب العربي يُعنى بالألقاب⁽³⁾. وله كتب أخرى منها: "فواصل السمر في فضائل آل عمر" في أربعة مجلدات. و"الدعوة المستجابة" و"صباية المشتاق في المدائح النبوية"، و"سفرة السفرة"، و"دمعة الباكي ويقظة الشاكي"، و"نفحة الروض"⁽⁴⁾.
- ونظم العمري الشعر قصائد وأراجيز، ونظم المقطعات والدوبيت والموشح، ولكن رأوا العلماء أن نظمه لم يكن كثره قوة ورصانة. وقد أنشأ العمري كثيراً من التقاليد والتواقيع ومكاتبات الملوك⁽⁵⁾. توفي سنة 749هـ بالطاعون⁽⁶⁾.

(1) ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 255/8؛ شذرات الذهب، 160/6.

(2) ينظر: العمري، السيرة النبوية في مسالك الأبصار، مقدمة المحقق، ص5.

(3) ينظر: العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، مقدمة المحقق، ص9-10.

(4) ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، 22/2.

(5) ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 255/8.

(6) ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، 160/6؛ الصفدي، أعيان العصر، 420/1.

الفصلُ الثاني

الدّراسةُ الموضوعيّةُ

صورة آل فضل الله في ديوان ابن نباتة المصري

المبحث الأول: صورة أسرة فضل الله بعامة.

المبحث الثاني: المكانة السياسيّة لآل فضل الله العمري.

المبحث الثالث: صورة آل فضل الله في الكرم.

المبحث الرابع: صورة آل فضل الله ذات النسب الرّفع.

المبحث الخامس: صورة آل فضل الله في العلم والأدب.

المبحث السادس: صورة آل فضل الله الدّينية.

المبحث الأول: صورة آل فضل الله بعامة:

رسم الشعراء صوراً متعدّدة للممدوحين على اختلاف طبقاتهم، فمنهم من ركّز على كرمهم، وتدينهم، وسيادتهم، ومنهم من اهتم بإبراز مكانتهم الأدبية، وغيرها من الصفات، وقد ذكرت في هذه الدراسة سابقاً علاقة الشاعر بآل فضل الله واتصاله بهم طوال أيام حياته، فللشاعر أشعار كثيرة تتحدث عن هذه الأسرة تقدّر بست وخمسين قصيدة ومقطوعة، ذكر فيها صفاتهم حتى تكوّنت صورة متكاملة بحيث تمكّنت الباحثة من إظهارها والكشف عنها، وعدد القصائد التي ذكر فيها آل فضل الله بعامة ومدح الأسرة بأكملها خمس، فقال في علاء الدين بن فضل الله⁽¹⁾:

[البسيط]

يَدَ الرَّجَا رَمَاهَا اللَّهُ بِالشَّلَالِ	إِنْ مَدَّ قَصْدِي فِي الدُّنْيَا لَغَيْرِكُمْ
تَحُولُ زَهْرُ الدَّرَارِي وَهِيَ لَمْ تَحُلْ	بَلْغَتُمْ آلَ فَضْلٍ اللَّهُ مَنْزِلَةً
وَفِي سِوَاكُمْ فَمَا يَخْلُو مِنَ الثَّقَلِ	يَخْفُ نَظْمُ الْمَعَانِي فِي مَدَائِحِكُمْ
فَمَا تَمِيلُ أَوَانِيهِمْ إِلَى بَدَلٍ	وَيَأْلَفُ النَّاسُ عَطْفًا مِنْ عَوَارِفِكُمْ
فِي الْعَالَمِينَ وَلَمْ أَعْكَفْ عَلَى هَبَلٍ	أَنْتُمْ رَجَائِي الَّذِي وَحَدْتُ مَقْصَدَهُ
هِيَهَاتَ لَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمْلِي	مَالِي وَمَا لِلسَّرَى قَصْدًا لَغَيْرِكُمْ
وَقَدْ بَذَلْتُمْ لَهُ الْأَمْوَالَ بِالْجَمَلِ	فَمَا لِإِضْحَاحٍ لَفْظِي لَا يُضِيءُ بِكُمْ
مَرْخِي لَهَا فِي عَنَانِ الْقَوْلِ بِالطَّوْلِ	فَدُونَكُمْ مِنْ ثَنَائِي كُلِّ سَائِرَةٍ
فِيَا لَهُ مِنْ بَسِيطٍ جَاءَ فِي رَمَلٍ	سَيَّارَةٍ فِي بَسِيطِ النَّظْمِ مَسْرَعَةٍ
وَسَعِي غَيْرِي فِي مَسْتَفْعَلٍ فَعَلٍ	أَسْعَى عَلَى دَرَرِ الْمَعْنَى بِأَبْحَرِهَا
مَلَأَ الزَّمَانَ وَفِي أَمْنٍ وَفِي جَذَلٍ	بَقِيْتُمْ يَا بَنِي الْعِلْيَاءِ فِي نَعَمٍ
يَوْمًا وَلَيْلًا فَمَنْ مَثْنٍ وَمَبْتَهَلٍ	تَقَاسَمُ النَّاسُ فِي أَيَّامٍ سَوْدَدِكُمْ

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 384-385.

تكشف هذه الأبيات عن علاقة الشاعر الوطيدة بآل فضل الله، مبيناً أن مدائحه مقصورة عليهم، ولا ملجأ له إلا إليهم، فأشاد بعلو منزلتهم التي بلغت أعالي السماء صيئاً ورفعة، وجاءت مدائحه فيهم سهلة خفيفة في حين كان أمداح غيرهم ثقيلة. وينوّه الشاعر بكرم ممدوحيه الذي قصر طلبه عليهم، ولا يبغي عنهم بدلاً، فهم رجاؤه ولا يُعني نفسه كثيراً من البحث عن غيرهم، فأكرمهم وأغدقوا عليه ما لا وخيراً، وفي المقابل فإنه خلّد مآثرهم في قصائد القوال التي سارت في الآفاق وطبقت الأرجاء، وظلّت خالدةً أبد الدهر لما فيها من درر المعاني وجميل الأوصاف والأمداح. ويختتم الشاعر قصيدته بالدعاء لممدوحيه بأن يبقيهم الله أبد الدهر في أمن وهناء وسعادة وسرور.

وفي قصيدة أخرى نظمها الشاعر في شهاب الدين بن فضل الله، أشار إلى علاقته بآل فضل الله، وأشاد بهم في هذه الأبيات⁽¹⁾:

[الوافر]

لِعَزِّ أَوْ لَوَفْرِ أَجْتَنِيهِ	على وفق احتياجي واجتياحي
عليّ بها السرى وعلى أيادي	بني الفاروق إدراك النجاح
بني فضل الإله إذا أجيلت	غداة المحل أيسار القداح
نجوم العلم أنواء العطايا	جياذ السبق آساد الكفاح
لآلي السلك في نسبٍ نظيم	ودعنا من أنايب الرماح
لأحمدهم مناهي الحمد عنهم	فيما كرم اختتام وافتتاح

يذكر الشاعر في الأبيات السابقة أنه يجني الرزق الوفير ويحصل على العز والجاه على أيادي السادة من بني فضل الله، ويشير إلى نسبهم العريق الذي يعود إلى الفاروق عمر -رضي الله عنه- فالشاعر لا يترك هذا الاسم في كل قصيدة قالها في آل فضل الله، وأشاد بهم وبكرمهم فهم يغيثون الناس أيام المحل والجذب، ويشير في الوقت نفسه إلى مكانتهم العلمية، وهم كذلك سباقون إلى الخير، وهم فرسان شجعان سريعون لنجدة من دعاهم، وفي ختام هذه الأبيات يذكر شهاب الدين أحمد بن فضل الله. فجمع الشاعر في هذه الأبيات بين أكثر من صفة، وصفهم بالكرم والجود، وذكر نسبهم، ومكانتهم العلمية، وصناعة الإنشاء، والمكانة السياسية.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 103.

وفي قصيدة قالها الشاعر في شهاب الدين بن فضل الله العمري ذكر الشاعر هذه الأسرة في عدة أبيات منها⁽¹⁾:

[الكامل]

يا آل فضل الله مدحكُم	إِفي القَديمُ وشَعبُكم شَعي
أنتم وقد شَهَرْتُموا هِيبكم	مأوى المَدائحُ لا بنو وهب ⁽²⁾
أقلامكم للملك حافظَة	ونوالكم في المجدِ للنهبِ
كم سَقَتُم نَجْجًا إلى طَلَبِ	وبعثتُم نصرًا إلى طَلَبِ
وصحبتُم ملكًا فما خَدَعَت	يمناه خَدَعَ الآلِ بالصَّحْبِ

تتكرر معاني المديح لدى الشاعر فلا يترك قصيدة قيلت في أحد أبناء آل فضل الله إلا ويذكر صلته القديمة بهم، ويذكر البيت العدوي العمري في جل قصائده المدحية التي قيلت في هذه الأسرة، ويشيد بآل فضل الله عامة، وبمدوحه خاصة. وشهد لهم بكثرة الهبات وفضلهم على بنو وهب وأنهم أحق بالمدائح، ومدحهم في مواهبهم في الإنشاء، وكرمهم الوفير، وذكر ملكهم وسيادتهم. وفي قصيدة أخرى يقول⁽³⁾:

[الطويل]

وذو المآثرات الغر للفضل تنتمي	إذا عُدَّت أفعالها وانتسابها
أرى آل فضل الله مورد أنعم	إذا ما رأينا آل قوم سَرابها

يقول الشاعر إن ممدوحه ينتمي لدوحة المآثر الجليلة أفعالاً وانتساباً، وهم مورد الفضل والنعم، وسواهم من الأقوام ما هم إلا سراب. فهو يتحدث عن الكرم وعن جميل الأفعال والأعمال ويقول بأنها تنسب إلى آل فضل الله دون غيرهم، وأنهم مصدر النعم والجود والعطاء.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 34-35.

(2) هم أحفاد بنو شيبان من بكر بن وائل، قادة معركة ذي قار الشهيرة بين قبائل بكر والفرس؛ حمد بن إبراهيم الحقيقل،

كنز الأنساب ومجمع الآداب، ص 38.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 45-46.

وقال في شهاب الدين⁽¹⁾:

[الطويل]

مِنَ الْقَوْمِ حَلَّوْا كُلَّ آفَاقٍ دَوْلَةً فَهَمَّ فِي سَمَاءِ الْعِزِّ وَالرَّأْيِ شُهْبَانُ
أَلَمْ تَرَهُمْ كَالشُّهْبِ لَمَّا عَلُّوا حَمُومًا وَلَمَّا حَمُّوا ضَاوُومًا وَلَمَّا أَضُّوا رَانُومًا
لِعَدْلِهِمْ صُلْحُ الضَّرَاغِمِ وَالظُّبَا وَبَيْنَ النَّدَى وَالْوَفْرِ عَبَسَ وَذَبَّيَانُ
يُرْجِّحُ مَا بَيْنَ الْكَوَكِبِ فَضْلَهُمْ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا لِلْكَوَكِبِ مِيزَانُ
جَمَعْتُمْ بَنِي الْفَارُوقِ مَا افْتَرَقَ الْعَالِي وَنَظَّمْتُمْ أَحْوَالَهَا وَهِيَ شَدَّانُ
لَعَمْرِي لَقَدْ طَبَّخْتُمْ وَطَابَتْ مَحَاتِدُ وَطَابَتْ لَكُمْ يَا زَيْدَةَ الْفَضْلِ أَلْبَانُ

وفي هذه الأبيات يقول الشاعر إن ممدوحيه كانوا يشغلون أرفع الوظائف في الدولة وهم واجهتها، ولهم الجاه والعزّ والرأي الصائب وشبههم بالشهب في شعلته الساطعة، فهم أعلام هذه الدولة، وأشاد شاعرنا بآل فضل الله بأنهم أصحاب المكانة العليا يحمون من يلجأ إليهم، ويضيؤون ويشعلون الأرض بنورهم وفضلهم حتى يشغلون القلوب والبصر، وينوّه بعدلهم وفضلهم فيقول بأن الصلح يتم بسبب عدلهم حتى إنّ الضراغم والظباء تتصالح، ويشبههم بالكواكب ولا يرجح ولا غلبة إلا لفضلهم وكرمهم، وبفضلكم يا أحفاد الفاروق عمر جمعتم ما فرقه الزمن حتى من اشتدّ عوده وقوي واستغنى كان منظم بفضلكم وتحت رعايتكم، وينهي هذه الأبيات بالدعاء لهم ويصفهم بالأصل الطيب وأصحاب المنطق الفصيح والبلاغة.

ومن خلال عرض الأبيات التي قيلت في آل فضل الله عامّة، نستنتج بأن الصورة التي رسمها الشاعر لهذه العائلة هي صورة إيجابية لا تحتوي إلا على أجمل الصفات ومنها: الكرم، والنسب الطيب، والمكانة الأدبية، والمكانة السياسية، والدين، والأخلاق، والشجاعة، وغيرها.

⁽¹⁾ ابن نباتة، الديوان، ص 501.

المبحث الثاني: المكانة السياسية لآل فضل الله العمري

تحدث الشاعر عن مكانة آل فضل الله السياسية، وتوليهم مناصب مرموقة وعليا في الدولة، وأشار إلى حكمهم العادل بين الناس، فهم خير من تولّى المنصب والسيادة فهم أهل لها، يحمون الحمى بقراراتهم الصائبة الحاسمة، مهابو الجناح، بهم يزول الدّل والهوان، وأصحاب الفضل في علوّ وازدهار الدولة، يبسطون الأمن الأمان بشجاعتهم. وكان ذلك في ست عشرة قصيدة قالها في مدح آل فضل الله والتغني بمكانتهم في الدولة وسيادتهم ومجدهم وشرفهم.

أولاً- علاء الدين بن فضل الله (ت 769هـ):

عدد القصائد التي ذُكرت فيها مكانة علاء الدين السياسية كانت ثلاث عشرة قصيدة، منها قول الشاعر⁽¹⁾:

[الكامل]

وحياطة الملك العقيم وظيفه ومطالع الشرف المؤيد راتبها
والعدل حكما كاد أن لا يغتدي زيد النحاة به لعمر و ضاربا

يشير ابن نباتة إلى مكانة علاء الدين البارزة في الدولة فهو حامي حمى الملك، ومن يأخذ على نفسه عهداً بجلب كل ما ينفع هذه الدولة ودفع الضرر عنها، ولا يحكم إلا بالعدل حتى أصبح العدل جزءاً من عاداته التي لا يتخلّى عنها مثله في ذلك مثل النحاة اعتيادهم ضرب مثل: "ضرب زيد عمراً"، فقد وظّف الأسماء (زيد وعمرو) وأحسن توظيفها في نصّه الجديد. وفي القصيدة ذاتها، يقول: ⁽²⁾:

يا حافظاً ملك الهدى كتابه سرت صائفها المليك الكاتبها
يا سابقاً لمدى الغلى بعزائم تسري الصبا من خلفهنّ جنائبها

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 27.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 27.

في هذين البيتين يخاطب الشاعر ممدوحه، ويقول إنه من يحفظ المُلْك ويحميه بقلمه، فمن يحمي الملك هم كتّاب السّر، ووصفه بذِي العزم القويّ الذي لا يخاف شيئاً وإنما يهابه الناس، فهو مهّاب الجناب حامي الحمى.

وفيه يقول⁽¹⁾:

[الطويل]

كأَنَّكَ رَوْضٌ أَوْ كَأَنَّكَ غَابٌ	تُخَافُ وَتُرْجَى يَا مَسْطَرَّ كُتُبِهِ
مُلُوكٌ إِذَا شَامُوا الظَّنَّ أَصَابُوا	كَذَا يَا ابْنَ فَضْلِ اللَّهِ تَدْعُو لِمَلِكِهَا
فَرِيدُ الثَّنَا كَالْتَّبَرِّ لَيْسَ يُعَابُ	فَرِيدَ الْعُلَى هَلْ أَنْتَ مَصْغٍ لِنَظْمٍ

يشيد بمكانة ممدوحه، ويقول بأنه يجمع الصفات المتضادة فالناس تخافه وتخشاه، وفي الوقت نفسه تتودّد له وتتقرب إليه طلباً للعون والمساعدة، فيشبهه بالروض ويشبهه كذلك بالغاب، ويثني عليه فهو صاحب القرارات الصائبة التي لا يشوبها أيّ خطأ، فممدوحه لا يشبه أحداً في زمانه، ويتساءل الشاعر إذا ما كان علاء الدين يصغي لما نظمه فيه، ويقول بأنه فريد في مدائحه كسبائك الذهب لا عيب فيها.

وفي قصيدة أخرى قال⁽²⁾:

[الطويل]

تَقَرُّ لَهَا هَذَا هَذَا النُّجُومُ الْمَوَاقِثُ	أَرَى لِعَلِيٍّ رُتْبَةً وَفَضَائِلًا
وَيَبْعَثِي مِنْ سَائِقِ الْبَرِّ بَاعِثُ	فَأَحْجِمِ إِجْلَالًا عَنِ الْقَوْلِ وَاللَّقَا
وَيَحْلِفُ أَهْلُ الْعَصْرِ مَا أَنَا حَانِثُ	وَأَحْلِفُ مَا فِي الدَّهْرِ مِثْلَ عَلَيْهِ
فِيَا حَبْذَا مِنْهُ قَدِيمٌ وَحَادِثُ	عَرِيقُ التَّقَى وَفِي السَّيَادَةِ حَقُّهَا
فَدَتِ شَخْصَهُ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ	سَمَا وَحَمَى الدُّنْيَا بِإِقْبَالِ شَخْصِهِ
جَرَى الْبَرْقُ فِي آثَارِهَا وَهُوَ لَاهِثُ	وَطَالَتْ مَعَالِيَهُ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 29.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 83.

يقول الشاعرُ إنه يرى ويشهد لممدوحه بفضائل ورتب وشأن عظيم، وتشهد وتقرّ له كل الأعلام والنجوم الساكنة، وكيف ويمتنع عن القول واللقا إجلالا وتعظيمًا له، وكأنه يقول لا كلام ولا ثناء يففيه حقّه، فممدوحه أعلى وأسمى من أي قول أو ثناء، فهو صاحب النقي والمعالي وهو أهلٌ للسيادة، ويشير إلى آل فضل الله فهم أصل السيادة منذ قديم الزمان إلى زمنهم، ويقسم بأن لا مثيل له في الدهر ويشهد قومه بأنه لا يحلف كذبًا ولا يؤثّم بقسمه، فقسمه صادق، ويشير إلى عراقته وأصالته ويشيد به وينسبه الكريم، وهو خير من حمى الدنيا بشخصه، وهو بشخصه فقط يسدّ مكان أبناء سام وحام وبافت أبناء نوح عليه السّلام. ووصلت معاليه إلى حدود السماء بسرعة شديدة حتى إن البرق يجري خلفها لاهثًا متعبًا قاصرًا عن إدراكها أو اللحاق بها. وقال أيضًا⁽¹⁾:

[الطويل]

إذا ذُكرت أهل السّيادة والعلی	فعدّ ابن فضل الله فاتحة الذّكر
إذا شمت منه طلعة علوية	فغال الثّنا وارفض سنا الأنجم الزّهر
إذا ما علاء الدّين حام فخاره	فسلّ ثمّ عن نسر الكواكب لا النّسر
وزیر بلا وزر وقاض بلا هوّی	وغیث بلا عیب وبحر بلا ضرّ
یسابقني لفظي لوصف زمانه	وبالطّبع تشدو الورق في الورق الخضر

يصر شاعرنا على مكانة ممدوحه، فلا يمكن ذكر أهل السّيادة إلا أن يكون علاء الدين في الطليعة، فمهما علا أحد وارتقى لن يصل إلى مكانته، وإذا ظهر وجهه العلوي فأكثر الحمد والشكر ورفض نور النجوم الزّاهرة، فابن نباتة يفضل وجه علاء الدّين على النجوم المنيرة، أما إذا اقتربت مزايه وفضائله فتقرّب منه، ويمضي الشاعر متحدثًا عن صفاته فعلاء الدين وزير بلا ذنب ولا خطأ، وقاض عادل بعيد عن الهوى، وغيث لا عيب فيه، وبحر زخار ليس فيه ضرر لأحد، وكثيرة هي صفات ممدوحه ومزايه حتى تسابق مع ألفاظه لوصفه ووصف زمانه، وتشدو الحمائم في وصف عظمة وزهو ممدوحه، وكثرة خيره الذي شبهه بالورق الأخضر اليانع.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 200.

وتأمل معي قوله⁽¹⁾:

[المُتقارب]

وحسبُ ابن يحيى حياةً الغلى	وبعض معالي الورى تُقَبَّرُ
زهى أفاق مصر بتدبيره	فطالعها أبداً يزهرُ
وقاهرة شادها لفظه	فشادها أبداً جوهرُ
هو اللفظ حال به جيدها	كفيل ندى وردى يهمرُ
وزهر الورى خضر بالهناء	وملك البرية إسكندر ⁽²⁾
وصاحب أسرار كاتم	وأنعمه في الورى تجهرُ
مقيم على النيل لا ابن الفرات ⁽³⁾	ومجدهم البحر لا جعفرُ
يعجل غاية ما يرتجي	ويحلم ساعة ما يقدرُ
ولا عيب فيه سوى سُودد	تكدر الفهم ولا يحصرُ

وفي هذه الأبيات تتكرر معاني المدح، ويشيد الشاعر بمكانة ممدوحه، فيخاطبه قائلاً: كيفيك يا ابن يحيى أن تحيا حياة العلا والمجد والرفعة، وغيرك من المعالي فهم في الأرض وكأنهم أموات، وبه لا بغيره ازدهرت أفاق مصر وعلت بتدبيره وحكمته، فهي مزهرة دائماً وأبداً، وبنى القاهرة بلفظه، فجواهر لفظه هي من شيدتها ورفعته، ويمضي الشاعر متغنياً بلفظه، إلى أن يذكر منصبه فهو صاحب السر ونعمه بين الخلق منتشرة جهراً، وتظهر براعته البلاغية، إذ يستخدم أسلوباً بلاغياً جميلاً لتأكيد المدح بما يشبه الذم، فينفي صفة الذم ثم استثنى بغير صفة مدح في قوله: لا عيب فيه سوى سُودده.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 203.

(2) هو الإسكندر المقدوني، وُلِدَ عام (356 ق.م) في مدينة بيلّا عاصمة مقدونيا، أبوه الملك فيليب الثاني، وتمكن الإسكندر خلال مدة زمنية وجيزة من حكمه من إقامة إمبراطورية عالمية مترامية الأطراف؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 287/1.

(3) هو أبو المغيرة أسد بن الفرات، الإمام العلامة القاضي الأمير، مقدم المجاهدين، مولده بحرّان سنة 144هـ، ودخل القيروان مع أبيه في الجهاد، وكان أبوه الفرات بن سنان من أعيان الجند، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، 226/10.

وقال في أخرى⁽¹⁾:

[البسيط]

دُسْتُورَ كُتَّابِ مَوْلَانَا بِمَصْرَ طَوَى	عَنِي وَأَعْمَدُهُ بِالشَّامِ مَنَشُورَا
فَإِنْ رَسَمْتَ بِمَصْرَ أَوْ دِمَشَقَ حِمَى	فَاعْطِ عَبْدَكَ فِي الْحَالَيْنِ دُسْتُورَا
سَتَرْتَ بِالشَّامِ تَقْصِيرِي وَتَسْتُرُهُ	بِمَصْرَ لَا زِلْتَ تُؤَلِّي الْجُودَ مَسْتُورَا

عندما انتقل ابن نباتة إلى مصر لم يمضِ هناك أكثر من عام حتى قُتِلَ السُّلْطَانُ، وساءت أحواله، وتوطدت علاقته بعلاء الدِّين وما ينفك يمدحه، ففي هذه الأبيات يقول إن دستور كتّاب السّر في مصر ابتعد عني؛ ولكنه يجده في الشام منشورا، ويتودد لمدوحه ويطلب منه إن رسم قوانينه وأحكامه في مصر أو الشام أن يجعل له في الحالين دستورا، أي أن يذكره بمنصب أو مال، ويذكر فضله وخيره عليه مذ كان في الشام. وما زال يعود عليه بالخيرات في مصر.

وقال فيه⁽²⁾:

[المنسرح]

تَغْزُلِي فِيهِ وَالْمَدَائِحُ فِي	عَلَيَّ قَاضِي النَّوَالِ وَالْبَاسِ
قَاضٍ قَضَى بِالنَّدَى الْعَمِيمِ فَمَا	فِي حُكْمِهِ مَحْضَرٌ لِإِفْلَاسِ
الْحَارِسُ الْمُلْكَ بِالْإِرَاعَةِ لَا	يَحْتَاجُ نَضْوَ سَيُوفَ حَرَّاسِ
نَاهِيكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِيَذِي	أَجْرٍ وَذِكْرَ أَطْرَاسِ وَأَنْفَاسِ
سُدَّ يَا ابْنَ فَضْلِ الْإِلَهِ كَيْفَ تَشَا	سِيَادَةً مَا لِيَذْكُرَهَا نَاسِ

وهذا مثال على حسن تخلص ابن نباتة من مقدمته الغزلية إلى المديح، فقال: تغزلي فيه أي محبوبته التي ذكرها في المقدمة، أما المدائح فهي من نصيب عليّ (علاء الدِّين)، ويمضي في ذكر صفاته قاضي حاجات الناس ويشبّهه بالنَّدَى الذي يعمّ أرجاء البلاد فهو المعطاء القويّ، ويشيد بقضائه وحكمه العادل بين الناس، فلا يستطيع أحد إيجاد مخالفة أو الحكم عليه بالفشل، ولا يحتاج للسيوف

⁽¹⁾ابن نباتة، الديوان، ص230.

⁽²⁾ابن نباتة، الديوان، ص 266.

لحماية الملك وإنما يحميها بالكتابة فهو صاحب السرّ وكاتمه، وحاامي الحمى المعطاء بالليل والنهار سرا وعلانية، وفي ختام هذه الأبيات يقول إن من حقّه أن يسود الدّنيا كما يشاء فلا شبيه له. وقال⁽¹⁾:

[البسيط]

خُلَاصَةُ الْعَرَبِ الْعَرَبَا ⁽²⁾ مِنْ فُصْحٍ	إِنْ قَاوَلُوا أَوْ مَصَابِيحَ وَأَبْطَالٍ
تَسْرِي الْمَطْيَإِ إِلَيْهِمْ أَوْ تَفُوزَ بِهِمْ	قُدُورِهِمْ فَهِيَ دَائِبًا ذَاتَ أَرْقَالٍ
بَطْحَاءَ مَكَّةَ غَرَسَ الْمَفَرِّقِينَ وَفِي	أَعْلَامَ مِصْرَ ظِلَالِ الدَّوْحِ وَالضَّالِ
أَمَّا عَلَيَّ فَقَدْ ضَاعَتْ مَنَاسِبُهُ	وَنَفْسُهُ فِي سُرَاةِ الصَّحْبِ وَالْآلِ
قَدْ دَبَرْتُ مِصْرَ وَالْأَمْصَارَ فِكْرَتُهُ	يَوْمِي نِزَالٍ بِقُطْرِيهَا وَإِنِّ زَالٍ
هُوَ الْمَوْفِقُ فِي مَعْنَى رِسَالِهَا	لِكِنَّهُ ابْنُ وَزِيرٍ لَا ابْنَ خَلَالٍ ⁽³⁾
تَقُولُ مِصْرَ يَحَامِي عَنْ مَمَالِكِهَا	أَقُولُ هَذَا مِنَ الْأَطْلَالِ أَقْوَى لِي
بِالنَّصْرِ يَعْطِي سَمَائِي عِنْدَ مُرْتَقَبٍ	وَالْعَدْلُ يَخْصِبُ أَرْضِي عَنْ إِقْحَالِي
فَلْيَفْخَرْ الْمَلِكُ بِالْكَافِي الَّذِي انْعَقَدَتْ	عَلَيْهِ آرَاءُ إِجْمَاعٍ وَإِجْمَالِ
وَالْمُودِعِ السَّرِّ فِي أَحْيَاءِ مَقْفَلِهِ	وَحَمْدُهُ عِنْدَ رَحَالٍ وَقَفَالِ
وَالْبَاسِطُ الْأَمْنُ بِالْأَقْلَامِ فِي أُمِّ	كَأَنَّهُمْ مِنْ حِمَاهَا بَيْنَ أَغْيَالِ

يتغنّى الشّاعر بممدوحه وأسرته فهم من العرب الخُصّ أصحاب البلاغة والبيان إن قالوا، وهم المصابيح في ضيائها وأصحاب البطولات، وهم من تسعى الخيول لهم وبهم تفوز وذلك بسعيها وسرعتها، ويذكر الشاعر نسب ممدوحه وأصوله التي تعود للفاروق عمر رضي الله عنه، فهو من غرّس موزعي الغنائم في مكة المكرمة، واستمروا أعلاما في مصر بخيرهم وبكرمهم يشبهون ظلال

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 386.

(2) العزّباء: العرب العاربة: هم الخُصّ منهم، وأخذ من لفظه، وتقول: عربٌ عاربة وعزّباء: صُرْحَاء. ومنعربة ومستعربة: دخلاء ليسوا بخُصّ؛ ابن منظور، لسان العرب، 1/ 586.

(3) هو أبو الحجاج موفق الدّين يوسف بن محمد بن الحسين، ويعرف بابن خَلّال، توفي سنة 566هـ؛ الزركلي، الأعلام، 247/8.

شجرة السدر، وقد أضاء علي بنوره في كل المناسبات والأماكن، وهو صاحب سرها، وحامي حماها، وبحنكته وأفكاره يخلص مصر في النزالات، ومصر تمجده وتمدحه قائلة بأنه من يدافع عن ممالكها ويقويها بأقواله وأفعاله، بانتصاراته المتلاحقة تعلو وتتألق، وبعدله يحمي الأرض من الإفحال، فهو فخر للملك وعليه اجتمعت الآراء، فهو باسط الأمن والأمان في الأرض.
وقال أيضاً⁽¹⁾:

[البسيط]

لا غَرَوْ إنْ بَدَلْتَ من عَمَّهَا بَدَلًا	وَقَدْ أَغَاثَ حِمَاها نَجَلٍ إِبْدَالٍ
وَنَاسَبَ الصَّالِحِ السَّلْطَانَ دَوْلَتُهُ	بِصَالِحِ يَوْمِ أَقْوالٍ وَأَفْعَالٍ
كَافِي المَمَالِكِ إنْ نَادَتْ بِرَاعَتُهُ	أَجَابَ نَصْرَتَهَا نَصَبًا عَلَى الحَالِ
وصاحب السّرِ في مِصرَ ابْتَدَى وَلَهُ	في كُلِّ مِصرَ مَقامَ الحَافِظِ الكالِي
وقاسِمِ الرّأْيِ مِنْ طَلاعِ شامِخَةٍ	ومن مُشِيرِ عَلَى الأَغْراضِ نَزَالِ
ومَعْمَلِ الخَدَعِ عِنْدَ الحَرْبِ يَعْجُزُ عَنْ	عَمالٍ ما قَلَّ مِنْهُ أَلْفَ بَطالِ

يذكر الشاعرُ ممدوحه المغيث حامي الملك، صاحب القول والفعل، وهو حامي الممالك ببراعته وفضله، وهو كاتب سرّ الملك، وصاحب الحنكة والخدع في السلم والحرب والرأي الجازم.
وقال⁽²⁾:

[البسيط]

فِيها وفي مَدحِ أَوْفى السَّائِدِينَ عُلّا	تَقسَمُ الشُّعْرُ في مَدحٍ وفي غَزَلِ
دُمَ لِلْعُلَى يا ابنِ فَضْلِ اللَّهِ مُرتَقِيّا	أَفقَ المَعاليِ وَقَدْ أَرَبى عَلَى الأوَلِ
يا مَنْ عَرَفْتُ بِهِ كَسَبَ الأُلُوفِ وَمَنْ	تَمامِها أَنّها جَءَتْ وَلَمْ أَسَلِ
لَمْ يُبْقِ جودَكَ لِي شَينًا أَوَمَلَهُ	تَرَكتَنِي أَصَحَبُ الدُّنْيا بِلا أَمَلِ
كُلَّ الكَفْءِ ذَوِي الآراءِ ماثِلَةٌ	مِثْلَ السَّيُوفِ وَلَكِنْ ذُو الفَقارِ عَلِي

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 287-288.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 411.

قسّم أشعاره في هذه الأبيات بين الغزل بمحبوبته، وبين مدح ابن فضل الله ذي السيادة والرفي والعلا، فهو أوفى الحاكمين، ويدعو له بدوام علاه ومكانته بين الناس مرتقيًا أعلى المقامات، وهو صاحب الفضل في كسب ابن نباتة ورزقه، ومن كرم ممدوحه وفضله أنه جعل الشاعر لا ينقصه شيء في هذه الدنيا، ويمضي الشاعر واصفًا إياه بأنه قلّ ما يجاريه أحد فكل ذوي الآراء الأكفاء مثل السيوف؛ ولكن علاء الدين مثل "ذو الفقار" وهو السيف الذي أهداه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب، فهو الأشرف والأعلى والأفضل.

وفي قصيدة أخرى قال⁽¹⁾:

[الكامل]

وتقول غر مدائحٍ لمحاسنٍ	علويةً تعلو على التحسين
أما عليّ فهو عين سيادة	لم يفتقر أصلًا إلى تعيين
ذو العدل لا تخلو الممالك منه في	جون الغمام في السنين الجون
والرأي كم من راية بيضاء قد	قامت بصبح من سناه مبين

يذكر الشاعر ما تقوله أفضل مدائحه في وصف حسن عليّ أصل السيادة ذي النسب والحسب، الذي لا يحكم بين الناس إلا بالعدل، والذي يقف في وجه الصعاب في السنين السوداء، صاحب الرأي القوي السديد.

ويكرر الشاعر ذكر فضل علاء الدين سيد السادات، صاحب الفضل والمعرفة في قصيدة أخرى فقال⁽²⁾:

[البسيط]

والوارث الفضل ممنوع لسؤدده	مع العلو على السادات رجحان
يا سيّدًا جمعت لي من عوارفه	نعمى وعليا فأسرار وإعلان

⁽¹⁾ ابن نباتة، الديوان، ص 514.

⁽²⁾ ابن نباتة، الديوان، ص 520.

ثانيًا_ شهاب الدين بن فضل الله (ت 749هـ):

أما شهاب الدين فقد ذُكرت مكانته السياسة في قصيدتين. فقال فيه⁽¹⁾:

[الطويل]

لَقَدْ زَيْنَ قَلْبِي الْمُسْتَهَامَ بِحَبِّهِ كَمَا بِشَهَابِ الدِّينِ قَدْ زَيْنَ دَهْرَهُ
رئيسٌ كما تَرْضَى السَّيَادَةُ وَالْغُلَى بِهِ زَالَ ذُلُّ الدَّهْرِ وَاشْتَدَّ أَرْزُهُ

في هذين البيتين يمدح شاعرنا شهاب الدين ويقول بأنه زينة هذا الدهر بأكمله، فهو نعم الرئيس الذي به يزول الدُّل والهوان.
وقال أيضًا⁽²⁾:

[الخفيف]

مَنْ رَأَى قَبْلَكَ الشَّهَابَ مُضِيًّا مَشْرِقًا فِي تَأَلَّقٍ وَبِيَاضٍ
مَا أَظَلَّتْ كَمِثْلِ سُودْدِكَ الْخُضْ رَاءَ فَاسَحَبٍ مِنْ ذَيْلِهَا الْقَضْفَاضِ
أَنْتَ زَيْنَتُهَا وَكَمْ زَيْنَتِ الْأَغْ مَادٍ قَدَمًا بِالْمُرْهَفَاتِ الْمَوَاضِي
فَعُيُونٌ مِنَ الْجَلَالَةِ وَالْحُسْ نِ لَهَا بَيْنَ بَسْطَةٍ وَانْقِبَاضِ
عَشَ كَذَا لِلسَّعُودِ مَسْتَقْبَلَاتِ بَيْنَ عَامٍ آتٍ وَآخِرٍ مَاضِي
وَلِيْفَاخِرُ بِكَ الْمُلُوكُ مَلِيكَ هُوَ وَاللَّهُ وَالْوَرَى عَنْكَ رَاضِي
حَبَّذَا لِلزَّمَانِ مِنْكَ رَئِيسٌ شَدَّ عَقْدَ الْأُمُورِ بَعْدَ انْتِقَاضِ

يشبّه الشاعر شهاب الدين بالشَّهاب المضيء المشرق والمُتألّق في السّماء، ويذكر سيادته ومجده وشرفه ويشيد به، ويصفه بزينة هذه الدّنيا، ويدعو له بالعيش والسعادة والسّيادة متنقلاً بين أعوام ماضية وأعوام آتية، ويقول بأن الملوك تفخر به، ويقسم بالخلق أن الله سبحانه وتعالى عنه راضٍ، فنعم شهاب الدين الرئيس ذو السّيادة والمكانة.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 207.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 279.

ثالثاً_ محيي الدين بن فضل الله (ت 738هـ):

ذكر ابن نباتة مكانته وسيادته في قصيدة واحدة، ومنها انتقيت هذه الأبيات⁽¹⁾:

[البسيط]

حامي حمى الملك بالأقلام مشرعة	على المني والمنايا حول واديه
لو ألقيت كعصا موسى على حجر	تفجر الماء من أقصى نواحيه
جاءت بيحيى معاليه مبشرة	فصدقت يده بشرى معاليه

يتحدث الشاعر عن محيي الدين ويصفه بأنه حامي حمى الملك بأقلامه التي تبعث الخوف والرجاء، وأنها لو ألقيت كعصا موسى -عليه السلام- لتفجر الماء وخرج، ويتحدث عن المعالي التي جاءت به مبشرة وقد صدقت يده وأقلامه تلك البشرية.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 565.

المبحث الثالث: صورة آل فضل الله في الكرم

أكثر الشعراء الحديث عن الكرم والعطاء، وكثرت تشبيهاته في مواضع عديدة من قصائده حتى تكاد لا تخلو قصيدة قيلت في آل فضل الله من هذه الصفة، وذلك ليستثير حماسة الممدوح في الجود ويمنحونه العطايا، ومن ذلك ما قاله الشاعر في كل من:

أولاً- علاء الدين بن فضل الله العمري (ت 769هـ):

ذكر علاء الدين في كثير من القصائد المدحية، وخصّه بصفة الكرم، ومن الأمثلة على ذلك⁽¹⁾:

[البسيط]

فيا لها من يدٍ بالجودِ فائِضة وزند رأيٍ لداجي الرّأي قَداحٍ

يقول الشاعر بأن يد ممدوحه دائماً تفيض بالكرم والخير، وآراؤه دائماً مصيبة، وتثير الطريق المظلمة.

وفي قصيدة أخرى قال⁽²⁾:

[السريع]

كَمْ سافرتُ في الجودِ أموالُهُ يحدو بها من مدحِهِ حادٍ
فالغيثُ من غيظٍ بها عابسُ والبحرُ في خبطٍ وإزبادٍ
كَمْ فضّلتُ آلاؤه فاضلاً واستعبدتُ ألفَ ابنِ عبّادٍ⁽³⁾

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 106.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 146.

(3) ابن عبّاد: هو إسماعيل بن عبّاد بن العباس بن أحمد بن إدريس الملقّب بـ "الصاحب" و"كافي الكفاة" ولد سنة 326هـ، وتوفي سنة 385هـ، وقد تربى على الكرم والأخلاق الحميدة؛ الزركلي، الأعلام، 316/1.

يتحدّثُ الشّاعر عن كرم ممدوحه وأمواله التي يجود بها، وشبّها بالمسافر الذي يجوب البلاد من مكان لآخر، ويقف الغيث غاضباً مغتاظاً لأن هناك من أكرم منه، والبحر يتخبّط لا يعرف ماذا يفعل، فلا يوجد في الكرم من يجاريه، ووصف فضله ونعمه على الناس، وفضّله على الصّاحب بن عبّاد.

وتأمّل معي قوله⁽¹⁾:

[البسيط]

أما وليّ حالةٍ عن مرّةٍ نقلتُ	لأنقلنّ بها عن عزمٍ همّام
ورُبَّ شائمةٍ عزمي ومُرتحلي	إلى حمى مصرٍ أشكو جفوة الشّام
قالت وراءك أطفالٌ فقلتُ لها:	نعم، ونعمى ابن فضلٍ الله قدّامي
لولا عليّ ابن فضلٍ الله ما استبقتُ	سفائن العيس في لجّ الفلا الطّامي
لعاقد خنصر المَداح يوم ثنا	وموضح الجود فيهم بعد إبهام
ربّ السّيّادة في إرثٍ ومُكتسبٍ	فيا لها ذات أنوعٍ وأقسام
سُد يا عليّ بن يحيى كيف شئتُ فما	في فرعك المُجتني والأصل من ذام

يتحدّثُ الشّاعر في هذه الأبيات عن حالته السيئة، وإرادته وعزمه على الارتحال من الشّام إلى مصر، وهناك من قال له لا ترحل وراءك أطفال، ولكنه يثق بممدوحه علاء الدين ويشيد به ويقول بأنّ النّاس تتسابق في الوُصول إليه كما تتسابق الجمال في الصحراء، وهذا السيّد هو أصل الجود والكرم، ويمدحه بنسبه وبمُكتسبه، فلا أحد يذم أصله أو يذمه بما به، فحقه أن يسود الدّنيا كما يشاء. وقال فيه أيضاً⁽²⁾:

[الطويل]

ويا لك من لفظٍ وفضلٍ لطالبٍ	يُحقق أنّ الصّدر والكفّ من بحرٍ
ويا لك مجدداً جلّ رائيه عن عمى	ويا لك بحرّاً جلّ عافيه عن نهرٍ
يسرُّ به ملكٌ ويحمي ثغوره	فليس يزلّ الملك مبتسماً الثغر

⁽¹⁾ابن نباتة، الدّيون، ص442.

⁽²⁾ابن نباتة، الدّيون، ص 201.

وما زال شَفَعًا بِأَسْأَهُ وَنَوَالَهُ	لدى المَلِكِ حتَّى ما يَنَامُ على وترِ
فما الشَّمْسُ في ظَهْرِ مَثِيلَةٍ وَصَفِهِ	ولا مِثْلُهُ فيمَا تَقَدَّمَ من عَصْرِ
وما فيه عيبٌ يُعَدُّ لِنَاقِدٍ	سِوى أَنَّهُ بِالْجودِ مُسْتَعْبِدُ الحُرِّ
وَأَنَّ ثَنَاهُ فَاضِحٌ حَصَرَ الوَرَى	وَأَنَّ نَدَاهُ لا يَحَاوِلُ بِالْحَصْرِ

يذكر ابن نباتة فضل ممدوحه وكرمه وأنه لا يرد طالبًا، وشبَّهه بالبحر في الكرم، ويقول بأنه صاحب مجد وعلا، وهو صاحب البأس والسلطة، ويبقى الملك متبسمًا مسرورًا به فهو حامي الثغور أي المواضع التي يخاف هجوم الأعداء منها، حتى الشمس في وقت الظَّهيرة لا تجاريه ولا تصل إلى منزلته، ولو بحثنا في العصور السَّابقة عن شخص يماثله في صفاته لن نجد فلا مثيل له، وإذا ما أراد النقاد بيان عيوبه فلن يجدوا سوى أنه كريم معطاء، ومن يحاول جاهدًا مدح علاء الدين لن يستطيع حصر صفاته، فصفاته الكريمة كثيرة لا تُحصى بعد.

وتأمل معي قوله⁽¹⁾:

[المقارب]

وَعِشْ يَا كَثِيرَ النَّدَى وَالثَّنَا	وَأَجْرُكَ مِنْ ذَا وَذَا أَكْبَرِ
بِجُودِ يَدَيْكَ ابْنَ فَضْلِ الْإِلَهِ	تَنَاسَبُ مَنْطِقِي الْأَبْهَرِ
فَإِنْ كُنْتَ غَيْثَ نَدَى هَامِلًا	فَإِنْ نُبَاتَ ثَنَاءِ مُزْهِرِ

يدعو الشاعر لممدوحه بالعيش، ويشبَّهه بالندى في الكرم، ويقول بأنه كثير الكرم والثناء، وما يستحقه علاء الدين من الثناء أكبر، وجوده يناسب قول شاعرنا، وإذا كان كرم ابن فضل الله غيثًا فإن مدائح ابن نباتة تزهر.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 204.

وقال⁽¹⁾:

[البسيط]

صَدْرُ النَّدَى وَلَلْأَلَاءِ تَوَظِيفُ	وصاحبُ السَّرِّ قَدْ سَرَّ الزَّمانُ بِهِ
سَرٌّ وَلِلْكَوَلِ إِنْعامٌ وَتَشْرِيفُ	كَمْ قاصِدٍ جاءَ فِي جَهْرٍ وَآخِرٍ فِي
وذاك من خَجَلٍ بِالْجودِ مرجوفُ	فالبِرِّ والْبَحْرِ ذَا بِالْأَمْنِ مِنْبَسِطُ

يقول الشاعر إن ممدوحه يسعد من حوله، والزَّمان به مسرور، ويتحدث الشاعر عن المحتاجين الذين يقصدونه سرًّا وعلانية، ويجود عليهم جميعا، وينعم بالأمان من في البر وفي البحر بفضلِه، وآخرين يرجفون خجلاً أمام كرم ابن فضل الله.

وقال فيه⁽²⁾:

[السريع]

أَغْنَى رَجَا الْوَفْدِ كَفَّه	وَكَمْ بِجُودٍ عَلِيٍّ
فِي جَنْبِهِ الْبَحْرِ غُرْفَه	وَفِاضَ لِي مِنْهُ بَحْرٌ
عَنْ راحَتِيَّ وَكَفَّه	وَشَلَّ كَفًّا افْتِقَارِ
لِصَاحِبِ السَّرِّ عَطْفَه	لِلْمَالِ سِرًّا وَجَهْرًا
بِفَضْلِ رُؤْيَاهُ طَرْفَه	يَا قَادِمًا لِي وَمِثْلِي
أَلْفَ السَّعَادَةِ أَلْفَه	لِيَهْنِكَ الْعَامُ تَلْقَى
وَحَوْلَ بابِكَ وَقْفَه	أَكْرَمَ بِقَصْدِكَ حَجًّا

يشيد الشاعر بممدوحه علاء الدِّين، ويذكر فضله وكرمه على كل من رجاه وتأمَّل بعطائه، وشبه كرمه بالبحر، وكأن شاعرنا يغرف منه ويجانبه لا وجود للبحر وهو غُرْفَة بسيطة، ويجود بأمواله سرًّا وعلانية، وبقربه يجد المرء سعادته، والناس تقصده وتقف على بابه من كل مكان.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 326.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 329.

وقال فيه⁽¹⁾:

[البسيط]

وَدَمَعُ عَيْنِي مِثْلَ السَّحْبِ جَائِدَةً بِالدمعِ جودَ علاءِ الدِّينِ بِالْمَالِ
ذُو الْفَضْلِ إِرْثًا وَكَسْبًا وَابْنَهُ نَسَبًا وَأَكْثَرُ النَّاسِ إِفْضَالًا لِأَفْضَالِ

يشبه الشاعر جود عينيه بالدمع بجود علاء الدين بالمال، وبهذا يدلُّ الشاعر على كرمه وفضله على النَّاسِ.

وقال فيه أيضًا⁽²⁾:

[البسيط]

وَنَاشِرُ الدَّرِّ فِينَا عِنْدَ مُسْتَمِعٍ نَثَرَ الدَّنَانِيرَ فِينَا عِنْدَ إِقْلَالِ
إِذَا تَثَاقَلَ عُسْرٌ بَاتَ مِنْ يَدِهِ تَبَرَّزَ يُصَرِّفُ مِثْقَالًا بِمِثْقَالِ
وَإِنْ دَعَوْتَ بِهِ فِي مَنْطِقٍ وَنَدَى دَعَوْتُ طَائِيَّ أَلْفَاظٍ وَإِفْضَالِ
دُمْ لِلْعَلَى يَا ابْنَ فَضْلِ اللَّهِ ذَا رُتَبٍ عَزِيزَةً يَا عَزِيزَ الْمِصْرِ يَا غَالِي
يَا بَحَرَ عِلْمٍ وَجُودٍ فَاخِرُنْ بِهِمَا فَكُلَّ آلٍ فِخَارٍ بَعْدُ كَالْآلِ

ويستمر الشاعر بمديح علاء الدين، وفي هذه الأبيات يقول بأن ممدوحه ينشر الدَّرَّ عندما يستمع إليه الناس، أما عند الحاجة ينثر الدَّنَانِيرَ، وهذه دلالة على الكرم، فإذا بات الناس في عسر نثر بين الناس كل ما هو ثمين، ويشبهه بحاتم الطائي في الكرم فإذا ما قصدته كأنك تقصد الطائي، ويختم أبياته بالدعاء لابن فضل الله، يشيد بفضله وعلمه، ويشبه علمه وجوده بالبحر الذي لا ينضب.

وقال فيه⁽³⁾:

[البسيط]

إِلَى الْغَفَاةِ سَبُوقَ قَبْلَ مَسْأَلَةٍ حَاشَا جَوَادَ عَطَاهُ ذِكْرَ مِهِمَازِ

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 386.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 388.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 261.

أَمَّا نَوَالُ ابْنِ يَحْيَى فَهُوَ صَنَعَتْهُ سِرًّا وَجَهْرًا كَمَا قَدْ قِيلَ خَرَّازِي
أَهْلًا بِمَقْدِمِهِ الْعَالِي فَحَيْثُ بَدَا فَأَضْبَعُ مِنْهُ مِنْ نِيلِ الْوَفَا هَازِي
أَشْتَاقُ أَهْلِي وَأَوْلَادِي لِيَطْرِبَهُمْ مِنْ رُؤْيَتِي نَظْمَ جَزَّارٍ وَخَبَّازٍ⁽¹⁾

يكرر الشاعر في هذه الأبيات صفات الكرم والعطاء، فهو السَّباق للخير يعطي قبل المسألة، يجود بالمال سرًّا وجهرًا، وقيلت هذه القصيدة بمناسبة زيارة صاحب السَّر علاء الدين إلى حلب، وختم شاعرنا قصيدته معبرًا عن اشتياقه لزوجته وأولاده.
وقال فيه أيضًا⁽²⁾:

[السريع]

وَقُلْتُ إِيَّاهُ يَا رَجَائِي إِلَى ذِي كَرَمٍ يَلْفِي وَتَكْرِمِ
إِلَى حَيًّا جَاءَ إِلَى رَائِدٍ فَالآن تُرَوَّى غُلَّةَ الْهِيمِ⁽³⁾
إِلَى عَلِيِّ الْأَسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْمِ أَلْفَاظٍ وَالرُّتْبَةِ وَالْحِيمِ⁽⁴⁾
ذُو كَرَمٍ مَا هُوَ إِلَّا الْقَتَا مَرَكُوزَةً حَوْلَ الْأَقْصَالِيمِ
سَاعٍ بِتَتَوَيْجٍ مُلُوكَ الْهُدَى وَبِاسِطٍ الْبِرِّ بِتَعْمِيمِ
فِي رَاخَةِ الْجُودِ تَعَانِيَّة بَنَائِلٍ فِي الْخَلْقِ مَقْسُومِ

يكرر الشاعر ذكر الكرم والجود، ويد الممدوح المبسوطة للناس وقت الحاجة.
وقال⁽⁵⁾:

[الكامل]

وَالْجُودُ مِنْ جَاهٍ وَمَالٍ شَامِلٌ لَا مَانِعَ الْجَدْوَى وَلَا الْمَاعُونِ

(1) إشارة إلى الشاعر أبي الحسين الجَزَّار، والشاعر يحيى بن محمد بن زكريا، المعروف بالخَبَّاز (ت 773هـ).

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 456.

(3) الهيم: قوم هيم: قوم عطاش، وقوله تعالى: "وشاربون شرب الهيم" هي الإبل العطاش التي لا تروى؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة هيم.

(4) الحيم: الحيمة: من قرى الجند؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة حيم.

(5) ابن نباتة، الديوان، ص 514.

مُجْدِي الْأَنَامِ قَرِيبَهُمْ وَبَعِيدَهُمْ حَتَّى طَعَامَ فَقِيرِهِمْ فِي الصَّيْنِ

يتحدث الشاعر عن جود ممدوحه وعطائه، ويقول بأنه لا يمنع الماعون عن الناس، وهو لا ينسى أي فقير حتى ولو كان في الصين، هذه مبالغة من الشاعر وقد أكثر منها في قصائده التي يصف فيها الكرم.
وقال فيه⁽¹⁾:

[الوافر]

كَمَا طَالَبْتَ جُودَكَ يَا ابْنَ يَحْيَى وَكَمْ أَجْدِي وَكَمْ أُسْدَى إِلَيْنَا
عِلَاءَ الدِّينِ دُمْتَ لَنَا مَلَاذًا وَغَوَّثْنَا إِنْ أَقْمَنَّا أَوْ نَأْنِيَا
لَبِستَ مِنَ السَّيَادَةِ ثُوبَ فَضْلٍ تَعَوَّدَ ذَيْلُهُ عَطْفًا عَلَيْنَا

يتحدث عن كرم الممدوح، ويقول بأنه طلب عونه وجوده كثيرًا، وفي كل مرة كان ابن يحيى يجدي ويعطي، ويدعو له بالدوام فهو ملاذ وعون لكل محتاج إن أقام وإن رحل، ويذكر عطفه وحنانه الذي تعود على إسدائه.

ثانيًا_ شهاب الدين بن فضل الله (ت 749هـ):

مدح شهاب الدين في العديد من القصائد، ووصفه بالكريم المعطاء في كثير من القصائد وهذه بعض الأمثلة على ذكر الجود ومنها⁽²⁾:

[الكامل]

يَا أَهْلَ فَضْلِ اللَّهِ إِنْ لَبِيتُكُمْ فَضْلًا يَرُوحُ لَهُ الثَّنَاءُ وَيَغْتَدِي
هَذَا شِهَابُ سَمَائِكُمْ مُتَوَقِّدٌ بِالذَّهْنِ فَوْقَ الْكُوكَبِ الْمُتَوَقِّدِ
أَفْعَالُهُ وَمَقَالُهُ وَنَوَالُهُ لِلْمُجْتَلِيِ وَالْمُجْتَنِّيِ وَالْمُجْتَدِيِ
لِلَّهِ كَمَ لَكَ مِنْ يَدِ أُسْدِيَّتِهَا مَا لِلْمَدَائِحِ فِي وَفَاهَا مِنْ يَدِ

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 520.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 145.

نَطَقْتَنِي وَرَفَعْتَنِي بِمَكَارِمِ	خَفَضْتُ لَدِي وَأُخْرَسْتُ مِنْ حَسَدِ
وَأَقَمْتَنِي فِيهَا خَطِيبًا بِالنَّارِ	وَمَنْنْتَ حَتَّى بِاللَّبَاسِ الْأَسْوَدِ
مَنْ مُبْلِغِ الْأَهْلِينَ عَنِّي أَنَّنِي	بِدِمَشْقَ عَدْتُ لَطِيبٍ عِيشِي الْأَرْغَدِ
أَمِنْتُ مِنْ نَارِ الْخُطُوبِ وَلَفَحِهَا	لَمَّا لَجَأْتُ لِلْجَنَابِ الْأَحْمَدِ

يتحدث ابن نباتة عن فضل شهاب الدين أحمد وكرمه عليه في دمشق، ويخاطب آل فضل الله ويذكر كرمهم وفضلهم، ويشبه لهم شهاب الدين بالشَّهاب المتوقِّد في السماء وهكذا يضيء ممدوحه في سماء آل فضل الله، وأفعاله وأقواله وكرمه لكل من المتفرِّق من الناس، وطالب العون الذي يجتني الرزق، وكثيرة الأيدي التي قدَّم لها العون، ولا تستطيع المدايح إعطاءه حقَّه من شدة كرمه وفضله، ويتحدث الشاعر عن حاله في دمشق وعيشه الكريم عندما لجأ إلى شهاب الدين، فقد رفعه وكرمه بمكارم ومنازل أخرست كل حاسد، فقد احتمى به ولجأ إليه وقت ضعفه وكان خير عون فلا يمكن أن ينسى فضله.

وقال فيه أيضاً⁽¹⁾:

[الكامل]

لِشِهَابٍ دِينُ اللَّهِ وَصَفَّ ضَاءَ فِي	أَفْقٍ فَقُلْ نَجْمُ السَّمَاءِ رَجَمَ الْعِدَى
كَمْ صَافَحْتُ مِنْ رَاحَتِهِ يَدِ امْرِئٍ	عَشْرًا وَصَبَّحَهُ الْهَنَاءُ فَعِيْدَا
يَا خَيْرَ مَنْ عَلَقْتُ يَدِي بَوْلَائِهِ	أَقْسَمْتُ مَا سَدَّتْ الْأَكَارِمُ عَنْ سُدى
يَا مُسْدِي النِّعْمِ الَّتِي قَدْ أَصْبَحْتُ	سَنَدًا لِمَنْ يَشْكُو الزَّمَانَ وَمُسْنَدَا
أَحْسِنَ بِجَاهِكَ شَافِعِي يَا مَالِكَا	أُرْوِي بِجُودِ يَدَيْهِ مُسْنَدَ أَحْمَدَا
كَمْ رَاحَةً أُولِيَتْهَا مِنْ رَاحَةٍ	وَيَدٍ صَنَعَتْ بِهَا لِمُفْتَقرٍ يَدَا

يتحدَّثُ الشَّاعر عن فضل ممدوحه، وشبهه بالشَّهاب الذي يحرق الشَّيْطان الرَّجِيم، وتحدَّث عن كرمه ويده المِعْطَاءة، وأنه سند لكلِّ فقير يشكو زمانه، فهو نصير الفقراء والضعفاء، وهو خير من والاه ابن نباتة، وأقسم أن مكارمه وفضله لن يذهب سدى، وكثيرة هي الأيدي التي عاونتها.

⁽¹⁾ابن نباتة، الديوان، ص 144-145.

وتأمل معي قوله⁽¹⁾:

[الكامل]

أَعَمَّ الْوَرَى جُودًا وَأَبْرَعُ مَنْطِقًا	فَقُلْ فِي سَحَابِ الْجُودِ تَرْجِيهِ سُحْبَانِ
فَفِي صَدْرِهِ الدَّهْنَاءُ حُلْمًا إِذَا اجْتَنَى	وَكَفَاهُ سِيحَانٌ عَلَيْنَا وَجِيحَانِ ⁽²⁾
يَجُودُ وَقَدْ أَرْسَى الْوَقَارُ بِعَظْفِهِ	كَمَا دَفَعَ السَّيْلُ الْعَرْمَرَمَ ثَهْلَانِ ⁽³⁾
وَيَقْضِي عَلَى أَمْوَالِهِ فَيَمِينُهُ	وَأَكْيَاسَهُ لِلْمَالِ نَعَشٍ وَأُكْفَانِ
نَدَى مُتَبَعٍ بِالْمَالِ جَاهًا كَمَا هَمَى	عَلَى مَنَبَعِ السَّلْسَالِ أَوْطَفَ هَتَّانِ
إِذَا جَادَ بِالْوَجْنَاءِ كَالْبَيْتِ حَاتِمِ	فَمِنْ جُودِ مَوْلَانَا قِلَاعٌ وَبُلْدَانِ
وَمِنْ جُودِ مَوْلَانَا نَاعِلًا وَمَنَاصِبَ	وَعِلْمٌ لِنِظَامِ الثَّاءِ وَتَبْيَانِ

يتحدّثُ الشّاعر عن جود ممدوحه فهو أكثر الخلق جودًا، ويشبّبه بالسّحاب فيسير فضله وكرمه بين الناس ويقدم لهم الغوث، ويشبّبه بالمطر الغزير على جبال ثهلان، وشبّبه بحاتم الطائي في كرمه، ويقضي حاجة الناس ويجود بأكياس المال وكأنّها نعش وأكفان، وشبه كرمه بالندى وأن من جوده أنشأ الناس قلاعًا وبلدانًا، ويتخذ الناس المناصب بفضله، ويجود بالعلم بين نظم وبيان.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 500.

(2) سيحان وجيحان نهران بالشّام.

(3) ثهلان: ثهلان بالفتح، جبل عظيم أسود في نجد، وقيل في بلاد بني نمير بن صعصعة بناحية الشريف، واشتقاقه من الثهل وهو الانبساط على وجه الأرض، والعرب تضرب المثل بهذا الجبل في الثقل فتقول: أثقل من ثهلان؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 88/2.

المبحث الرابع: صورة آل فضل الله ذات النسب الرفيع

لا تخلو قصيدة نظمها الشاعر في آل فضل الله من ذكر نسبهم لجدهم الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك في مواضع عديدة من قصائده المدحية في.

أولاً- علاء الدين بن فضل الله:

ذكر ابن نباتة نسب علاء الدين وأصله في قصائد متعددة، وتعددت ألوان النسب، فمنها: النسب العمري، وعراقة الأصل، وعلو الرفعة.

ومن ذلك قوله⁽¹⁾:

[الكامل]

دَلَّتْ مَنَاقِبُهُ عَلَى أَنْسَابِهِ	وَحَمَاهُ عَنْ تَسَالٍ مِنَ الْأَوَاهُ
ذُو الْفَضْلِ مِنْ نَسَبٍ وَمِنْ شَيْمٍ فِيَا	لِلَّهِ مَنُوبَتْ عَوْدِهِ وَنَمَاهُ

يتحدث الشاعر -هنا- عن مناقب ممدوحه التي من خلالها انطلق إلى مدحه والثناء عليه إذ عرف عنه أنه ذو نسب طيب وخصال محمودة مشرقة، فهو صاحب الفضل والأخلاق الرفيعة. وفي القصيدة ذاتها، يقول: ⁽²⁾

[الكامل]

مِنْ أَسْرَةٍ عُمَرِيَّةٍ عَدَوِيَّةٍ	شَهِدَتْ بِفَضْلِ مَكَانِهَا أَعْدَاؤُهُ
مِنْ كُلِّ ذِي نَسَبٍ سَمَتْ أَعْرَاقُهُ	يَوْمَ الْغُلَا وَاسْتَبْطَحَتْ بِطَحَاؤُهُ
قَوْمٌ هُمْ غُرُّ الزَّمَانِ إِذَا أَضَا	أَمْرًا رَاؤُهُ وَزَرَاؤُهُ شَعْرَاؤُهُ

⁽¹⁾ ابن نباتة، الديوان، ص 11.

⁽²⁾ ابن نباتة، الديوان، ص 11.

ففي هذه الأبيات يعود الشَّاعر إلى نسب ممدوحه الَّذي ينحدر من بيت طاهر حتى إنّ أعداءه شهدوا له بأصالة نسبه وطهارته وعلو مكانته، فنسبه يعود للفاروق عمر بن الخطاب العدوي العمريّ، فلا أحد يخفى عليه فضل علاء الدين بن فضل الله، هذه الأسرة العريقة والأصيلة ذات المكانة، فهم دائماً في المقدمة أمراء ووزراء وشعراء.
وقال فيه أيضاً⁽¹⁾:

[الطويل]

مضى عمرُ الفاروقُ وهي كما ترى غصونٌ بأوطانِ الملوكِ رطابُ
فأحسنُ بها في راحةٍ علويّةٍ كما افتَرَّ عن لَمَعِ البروقِ سحابُ

يتحدثُ الشاعر عن بقاء آل فضل الله أحفاد الفاروق وبقاء فضلهم رغم ذهاب جدهم، وشبههم بأغصان الأشجار المتجددة، كلما جفَّ غصنُ نما غصنٌ جديد.
وقال⁽²⁾:

[البسيط]

يا ابنَ السَّراةِ إلى الفاروقِ نسبَتهم وجمعُهُم لِفَخَارِ القولِ والعَمَلِ
البالِغينَ مدى العُليا ولو قَعَدوا والسَّابِقينَ ولو ساروا على مَهَلِ

ذكر الشاعر نسب ممدوحه إلى جده الفاروق، ويقول بأنهم من عليّة القوم نسباً ورفعةً ومكانةً، فهم أسياد جمعت فيهم فضائل العزِّ والفخار قولاً وعملاً، وهذا ما أعلى منزلتهم ورفع مكانتهم، فهم دائماً سبّاقون إلى العلا إن بادروا مسرعين أو ساروا بتؤدّةٍ وتأنٍّ.
تتكرر معاني المدح لديه فقال⁽³⁾:

[السريع]

لولا ابنَ فضلِ الله ما استجمعتُ فرائدُ الفضلِ لتتنظِّم

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 29.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 384.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 456.

ينمي به المدح إلى أسرة
عن عمر الفاروق يروونه
ما دهر داعيهم بمذموم
تراث تمجيد وتعظيم
قائل بالعدل مأموم
ناهيك منهم بإمام مضي

يتحدث الشاعر عن آل فضل الله الذين جمعت فيهم خصائل الفضل، فجاء الاسم موافقاً للمسمى، وهذا ما دفعه إلى مدح تلك الأسرة التي ما عرف عنها الذم يوماً، بل ظلت صفحتها بيضاء ناصعة أبد الدهر، والفضل في ذلك يعود نسبهم العريق الذي يتصل بجدهم الفاروق عمر، فهو الذي وطّد لهم أركان المجد ودعائمه، وظلّوا محافظين على هذا النسب الرفيع، فضلاً على أنهم اقتفوا سيرته في أعمالهم وأفعالهم لما عُرف عنه رضي الله عنه من عدل وإحسان، وما من شك في أن العدل خلّده وأبقى ذكره طيباً مدى الأزمان، وعلى هذا النهج سار أسلافه من آل فضل الله العمري. وتأمل معي قوله⁽¹⁾:

[السريع]

إلى فتى الخطّاب ساميهم
من عمر نور التقى والغلى
تفنن الفضل وأفنانه
إلى علي آل برهانه

وهذا مثال آخر ذكر الشاعر من خلاله نسب ممدوحه، وذكر فضل هذه الأسرة من جدهم عمر بن الخطّاب إلى آخر ممدوحيه من أسرة فضل الله العمري. وقوله⁽²⁾:

[الطويل]

وذو النسب المرفوع عن محبوبه
إلى عمري المنتمي عدويّه

يتغنّى الشاعر بنسب ممدوحه الرفيع الذي يعود للفاروق عمر.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 498.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 567.

وقال (1):

[الطويل]

من القوم في بطحاء مكة أصلهم وأفناؤهم في الخلق فواحة الزهر
إذا فرّق الفاروق في الخلق ذكّرهم فيا حبّذا الأظهار تُغزى إلى الطهر
تحدث الشاعر عن أصلهم من أرض مكة، ورائحتهم العطرة فواحة بين الناس، فهم من قوم أطهار
إذ ولدوا في ثوب العفاف والطهر ونشأوا كذلك فيه.

وقال الشاعر (2):

[البسيط]

وارفع إلى عمر إسناد بيتك في فضلي وفصلي وتقديمي وإقدامي
بيت تسامي إلى الفاروق منصبه فكاتبته العلى بالمنصب السامي
منظم طاب حتى تمّ مفخره فكم إلى طيب يعزى وتمّام
اسم حروف المعالي فيه واضحة وكلّ عالٍ سواكم حرف إدغام

يكرر الشاعر ذكر نسبهم إلى الفاروق عمر، وما ورثوه عنه من الفضائل والصفات الحسنة
والمناقب، ولأن بيتهم يعود في أصله للفاروق فيستحقون المناصب الكبيرة السامية، هم مفخرة بين
الخلق فإنهم ينتمون إلى طيب وتمّام، ولاسمهم ونسبهم مكانة كبيرة، وغيرهم من الناس شبيههم الشاعر
بحروف الإدغام.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 201.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 442.

ثانيًا_ شهاب الدين بن فضل الله:

ذكر ابن نباتة نسبه إلى الفاروق عمر في قصائد عدّة، ومن ذلك⁽¹⁾:

[الطويل]

قَدِيمُ فِخَارٍ لَا يُشَابُ جَدِيدُهُ	رَوَى فِرْعُهُ عَنْ دَوْحَةٍ عُمَرِيَّةٍ
وَأَيَّ فِخَارٍ آخِرَ لَا يَجِيدُهُ	فَأَيَّ فِخَارٍ أَوَّلَ لَا يَجِدُهُ
وَأَيَّ هِمَامٍ فِي الْوَرَى لَا يَسُودُهُ	وَأَيَّ مَقَامٍ فِي الْعُلَى لَا يَسُوسُهُ

يشيد الشاعر بنسب ممدوحه الذي ينحدر من دوحة جدّه عمر بن الخطّاب، فهو فرع من هذه الدّوحة، وهو المجدد في العلم، وذو مقام عال لا يساويه أحد من النّاس.

⁽¹⁾ ابن نباتة، الدّيون، ص144.

المبحث الخامس: صورة آل فضل الله في العلم والأدب

كثيراً ما ذكر ابن نباتة الطُّروس والأقلام، وما اشتهروا به من فصاحة وبلاغة مشيراً بذلك إلى اشتغال آل فضل الله بصناعة الإنشاء والكتابة، وذلك في عدة قصائد سأذكر بعضها.

أولاً- علاء الدين بن فضل الله:

ذكر ابن نباتة فضل ممدوحه علاء الدين في العلم والأدب، وظهر ذلك في بلاغته وألفاظه وفصاحته وأقلامه، منها قوله⁽¹⁾:

[البسيط]

يا من له القلم المنهلُ بارقه	بوابلٍ في الوغى والسلم سحاح
يا ذا البلاغة أسلاكاً على حل	فالفضل ما بين وشاء ووشاح
لا غرو إن نشأت منشا الرياض وفي	يُمناك كل نَمير الودق دلاح
إني لأشهد منها غير ما شهدت	أفكار كل حسير الفكر لمّاح
فليت شعري تُوفي حقها مدحاً	وليت شعري متى بالقرب أرباحي

يتحدث عن قلم ممدوحه الذي يشبهه بالمنهل في غزارته، فعلم ممدوحه غزير وشبهه بالوابل الغدق، فهو صاحب البلاغة والفصاحة فعندما يكتب يكون وكأنه ينسج ثوباً جديداً في جماله وروعته وقوته، ومضى يذكر مناقب ابن فضل الله وقال لا غرابة من حسن لفظه وبلاغته فهو من نشأ في بساتين العلم، وفي يده قلم شبيهه بالماء حلو المذاق لأنه لا يكتب إلا أجمل الألفاظ، وما شهد منه إلا أفكار متوقّدة الدّهن الفصيح، ويتمنى في نهاية هذه الأبيات أن يستطيع شعره أن يفي ممدوحه حقّه وأن يستطيع أن يقرب مكاسبه وما يسعى للوصول إليه.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 107.

وقال فيه⁽¹⁾:

[الطويل]

لَهُ قَلَمٌ يَدْعُو الدَّوَاةَ كِتَابَةً
حَفِيَّ غَدَاةِ الْمَكْرَمَاتِ أَوْ الْوَعَى
وَنَظْمٍ وَنَثَرٍ يُخْرِجَانِ ذَوِي النَّهَى
لِأَجْيَادِنَا مِنْهُ وَلِلطَّرْسِ حَلِيَّةٌ
وَلِلْحَرْبِ صَفٍّ مِنْ سُطُورٍ كَأَنَّهَا
بِكَفٍّ كَرِيمٍ الْإِرْثِ وَالْكَسْبِ فِي الْعُلَى
هُمَامٌ إِذَا الْآرَاءُ حَثَّتْ لِغَارَةٍ
وَيَعِزُّ بِهٍ عَيْشَ الْمُلُوكِ إِلَى النَّضْرِ
بَبِيضِ أَيْدِيهَا وَأَعْلَامِهَا الصَّافِرِ
لِعَمْرِكَ مِنْ أَرْضِ التَّنْبِتِ بِالسَّحَرِ
فَأَجْيَادُنَا بِالْجُودِ وَالطَّرْسِ بِالشَّذْرِ
حَدِيدٌ يَسُوقُ النَّاكِثِينَ إِلَى الْحَشْرِ
فَمَنْ خَبَرَ نَامِي الْفَخَارِ وَمِنْ خَبَرَ
كَرِيمٍ إِذَا حَثَّتْ عَلَى الْكَلَمِ الْغُرَّ

يكرر الشاعر ذكر قلم ممدوحه الذي يدعو الدواة للكتابة من شدة إبداعه، وبفضله يعيش الملوك منتصرين، وكان لطيفاً رقيقاً كريماً، ويشير الشاعر إلى راية الدولة المملوكية التي يغلب عليها اللون الأصفر، ويشيد بنظمه ونثره، ويشهد له بالفضل فهو الكريم المعطاء، وكذلك وجود عليهم بعلمه الوفير الذي شبيهه بقطع الذهب الخالصة، ويمدح نسبه ومكتسبه، ويذكر شهامته وشجاعته، وشرفه وكرمه.

وتأمل معي قوله⁽²⁾:

[البسيط]

وَرَوْضُ لَفْظِكَ رِيحَانُ الْقُلُوبِ إِذَا
تَغَدَّوْا لَهُ صُورَ الْأَضْدَادِ بَاهِتَةً
وَنَظْمُكَ الزَّهْرُ لَكِنْ بَعْضُهُ زَهْرٌ
يَبْكِي الْوَلِيدُ الَّذِي مِنْ بُحْتَرٍ قَصْرًا
سَجَعَتُهُ فَإِذَا الرِّيحَانُ مَنثورٌ
كَأَنَّمَا هِيَ مِنْ عِيٍّ تَصَاوِيرِ
مَعَ أَنَّهُ النَّوْرُ إِلَّا أَنَّهُ النَّوْرُ
وَعَنهُ يُمَسِّي جَرِيرٌ وَهُوَ مَجْرورٌ⁽³⁾

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 201.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 206.

(3) يربيد الوليد بن عبيد المعروف بالبحتري الشاعر المعروف، وجريز بن عطية الكلبي اليربوعي الشاعر المشهور.

وفي يراعِكَ سرٌّ من سَعادَتِهِ قد صَحَّ مِنْهُ لِعِلْمِ الحَرْفِ تَأْثِيرُ
في الجودِ غُصْنِ جَنانٍ غيرِ مُنْقَطِعٍ له على الطَّرسِ تَوْرِيْقٌ وتَتْمِيرُ

يتحدّثُ الشاعر عن ألفاظِ ابن يحيى المسجوعة ويشبّـهـا بالزّيحان المنثور، ويذكر صوره الأدبية الجميلة، وشبهه نظمه بالزهر والنّور المضيء، وتأتيه الأضداد طائعة مبهوتة، وعبر عن لسان حالها بأنّها من عيّا مجرد تصاوير، ولا يخلو الأمر من مبالغة في إشارته إلى أنّ نظمه يفوق سابقه كشاعر المعروف البحتري (ت284هـ) وجرير (ت110هـ)، فالأوّل يقصر نظمه عن نظمه، والأخير تابع له على الدّوام، والقلم في يده سرٌّ من أسرار سعادته، وأشاد بعلمه النّافع وتأثيره على الناس، ويشير إلى كرمه وجوده وأنّ عطاءه غير منقطع، وكتاباتـه مثمرة نافعة لها فضل وأثر على كل من يقرأها. وقال فيه⁽¹⁾:

[البسيط]

في كَفِّهِ قَلَمُ الْإِنْشَادِ مَنْشَأُهُ فَضْلٌ وَفَضْلٌ وَتَعْرِيفٌ وَمَعْرُوفٌ
فَتُوحَ مُلْكٍ مِنَ الْأَسْجَاعِ خُصَّ بِهِ هَذَا وَذَلِكَ وَسَجَّعُ النَّاسِ تَوْقِيفُ
وَفَضْلُ نَظْمٍ لَهُ مِنْ بَيْتِهِ شَرَفٌ فَهُوَ الرِّضَى وَبَاقِي النِّظْمِ مَشْرُوفٌ
خَطَافَةٌ لُبِّ رَائِيهِ بِرَاعَتِهِ وَوَجْهٌ حَاسِدُهَا بِالرُّوعِ مَخْطُوفٌ

ويستمر ابن نباتة في مدح علاء الدّين وفضله، فهو صاحب القلم، ويشيد بكتابتـه المسجوعة، ويذكر فضل نظمه، ويقول بأنّ نظمه يغلب باقي النظم بالشرف، ونظمه يسرق العقول بفضـل براعته، ووجه من يحسده مخطوف خائف. وقال فيه⁽²⁾:

[البسيط]

ذُو اللَّفْظِ عَلَّمَتِ الْمُصْغَى فَصَاحَتُهُ قَوْلَ الْمَدَائِحِ فِيهِ ذَاتَ إِحْكَامِ
قَلَوَ مَزَجَتْ أَبَارِيقَ الْمُدَامِ بِهِ مَا رَجَعَتْ صَوْتٌ فَأَفَاءٍ وَتَمَامِ

(1) ابن نباتة، الدّيون، ص326.

(2) ابن نباتة، الدّيون، ص443.

يا فاضلاً لو زنت عين العمد له لبات يخفق رعباً برقاً الشامي
 غطى ثناك على عبد الرحيم فما ترنو لأنجمه أبصار أفهام
 وقد طوى نظمك الطائي منهزماً لما برزت بأطراس كاعلام
 ليخبر الملك في يمينك عن قلم صان الأقاليم عن تخير مستام

ويمضي ابن نباته يمدح ألفاظ علاء الدين الفصيحة التي يتعلم منها المصغي، وألفاظه القوية حتى لو مزجتها بالمدام تبقى قوية، ولن تسمع صوت فأفاء أو تمام، إذ إنه لا يتردد أو يتلعثم في فيما ينطق أو يكتب، لا لا بل لا يعرف تمتمة أو لجلجلة. ويمضي في الحديث مشيراً إلى مكانته في صناعة الكتابة إذ يقرنه بالقاضي الفاضل عبد الرحيم، وبراعته في النظم والنثر، وهذه مبالغة محمودة من الشاعر عندما قرن ممدوحه بأقطاب المدارس النثرية وأعلام الشعراء الأفاضل، في هذا إشارة إلى تمكن ابن فضل الله من العلوم التي أتقنها وبرع فيها، واستطاع بما خطته يميناه أن يصون البلاد والعباد.

ثانياً_ شهاب الدين بن فضل الله:

ذكر الشاعر علم شهاب الدين وفضله في قصائده المدحية، ومن ذلك قوله⁽¹⁾:

[السريع]

وكأس ألفاظ عذاب إذا ما زجها كافور ثلج نضج
 وصغت ثلجاً فاكتسى برده ذكاء ألفاظك حتى نفخ
 وسبح الناس بدريها حباً فيا لله من ذي السبح

جاءت هذه القصيدة رداً على خائية كتبها القاضي شهاب الدين على الوزن نفسه، وهنا يشيد ابن نباتة بألفاظ ممدوحه العذبة وكأنها مزجت رائحة عطرة، وصياغته الرائعة، ويقف الناس ويسبحون لله إعجاباً.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 104.

وقال في القصيدة ذاتها⁽¹⁾:

يَا مَدْمَلُ الْجُرْحِ بِالْفَافِظِهِ وَنَاهِيَا لِلدَّهْرِ عَمَّا اجْتَرَحَ
لِلَّهِ مَا خَائِيَّةٌ خَلَّدَتْ فِي صَفْحَةِ الدَّهْرِ أَجَلَ الْمُلُحِ
أَقْسَمْتُ لَوْ وَازَنْتَ الشَّمْسَ فِي الْمَدَامِ مِيزَانَ دِينَارٍ سَنَاهَا رَجَحُ

يشيد الشاعر بألفاظ شهاب الدين، ويمدح خائيته ويقول بأنها أجمل الملح، وأقسم أنها إذا ما وازنت الشمس سترجح في الميزان، لجمالها وجمال ألفاظها.
وقال⁽²⁾:

[الوافر]

وَأَغْرَقْتَ ابْنَ بَحْرِ فِي بَيَانٍ أَطَافَ بِهِ عَلَى لَجَجٍ فَسَاحٍ

يتحدّث الشاعر عن بيان ممدوحه ويفضله على الجاحظ.
وقال فيه⁽³⁾:

[الطويل]

أَلَمْ تَرَ عَلَيْهِمْ بَطْلَعَةَ أَحْمَدٍ كَمَا نَضَّ عَنْ عَبَقِ الرِّيَاضِ صَنِيعَهَا
عَلَى يَدِهِ الْبَيْضَاءِ آيُ يَرَاعَةِ يَنْعُمُ جَانِيهَا وَيَشْقَى لِسَايِعَهَا
مُعَوَّدَةُ سِحْرِ الْبَيَانِ فَبَيْنَمَا تَرُوقُ ذَوِي الْأَلْبَابِ أَمَسَتْ تَرُوعَهَا
فَرَائِدُ لَا تَرْضَى ابْنَ عَبَادِ عِبْدَهَا وَيَعْلُو عَلَى وَصْفِ الْبَدِيعِ بَدِيعُهَا

يتحدّث عن علو شأن ممدوحه وشبهه بعبق الرياض الفوّاح، وتحدّث عن قلمه وفضله مع إغراق وغلوّ بشكل جليّ، إذ إن فرائده لا ترتضي الصّاحب بن عباد عبداً لها، وأشاد ببيانه وبراعته في الإنشاء، فلا يرقى وصف بديع الزّمان الهمذاني إلى وصفه.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 105.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 103.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 301.

ويقول⁽¹⁾:

[الطويل]

رَأَيْتُ ابْنَ فَضْلِ اللَّهِ فَاضِلَ دَهْرِهِ إِذَا عَتَبَرْتَ أَلْفَظُهُ وَسُـعُودُهُ
إِذَا ابْنُ عَلِيٍّ وَابْنُ يَحْيَى تَسَاجَلَا فَقُلْ: طَارِفُ الْمَجْدِ الرِّضِيِّ وَتَلِيدُهُ

في هذين البيتين يفاضل الشاعر بين ممدوحه والقاضي الفاضل، ويرى أنَّ ممدوحه استوجب أن يكون فاضل عصره إذ يستحقُّ أن يُنعتَ بلقب فاضل دهره أسوة بالقاضي الفاضل الذي تربّع على عرش الكتابة في عصره، ولا شكَّ أنَّنا في البيت الثاني نجد مبالغة واضحة حينما جمع بينهما في المساجلة، فأنحاز إلى ابن فضل الله، ويرى أنَّ الذي يستحقُّ الثناء الطَّارِف لا التَّليد. وترى الباحثة في هذا نوعاً من الغلو، إذ إنَّ القاضي الفاضل أوَّل من ابتدع لنفسه مدرسة خاصّة في صناعة النثر، وكلُّ من جاء بعده إنَّما كان مُقلِّداً له مقتفياً أثره.

⁽¹⁾ ابن نباتة، الديوان، ص144.

المبحث السادس: صورة آل فضل الله الدينية

وصف ابن نباتة آل فضل الله بأوصاف دينية، أوردتها في سبع قصائد مدحية في الأسرة ومن أهم الملامح الدينية التي ذكرها: التقوى، والورع، والعدل، والدفاع عن الإسلام وحمائته.

أولاً- علاء الدين بن فضل الله:

وصف ابن نباتة ممدوحه بصفات دينية، سأذكر هذه الصفات وأوضحها من خلال إيراد بعض الأمثلة، ومنها⁽¹⁾:

[الكامل]

والرأي نافذة قضايا رسمه	من قبل ما نوت الإرادة راؤه
وسعادة الدارين جل أساسها	بمعاقد التقوى فجّل بقاؤه

يتحدث الشاعر عن تقوى علاء الدين وبعده عن كل ما يغضب الله سبحانه وتعالى، ولهذا فقد يحظى بالسعادة في الدنيا والآخرة. وقال فيه⁽²⁾:

[الكامل]

أعلا الورى همماً وأعدل سيرة	وأعزّ منتصراً وأمنع جانباً
مرآة فضل الله والقوم الأولى	ملأوا الزمان محامداً ومناقباً
الحافظين ممالك وشرائعاً	والشّارعين مهابةً ومواهباً
لا يأتلي منهم إمام سيادة	من أن يبذل النّيّرات مراتباً

يتحدث الشاعر عن ممدوحه ويقول بأنه همام شجاع ذا سيرة عادلة، النصر حليفه قويّ الجانب، فيمزج الشاعر في المدح بين الصفات المعنوية والحسية، وسيرتهم في أقوم صورة وأفضلها، وبيت آل فضل الله وجدودهم يعكسون أوصافهم وأخلاقهم الإيجابية التي ملأت الأرض في كل زمان،

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 11.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 27.

وهم من يحافظون على الدين بمحافظتهم على الشريعة وأحكام الله سبحانه وتعالى، وهم من ينشر ويصدر قوانين الجود والعطاء، فهم يفوقون الضوء المنير في مراتبه.

وفي القصيدة ذاتها يقول⁽¹⁾:

نِعَمَ الْمُجَدِّدُ فِي الْهُدَى أَقْلَامُهُ أَيَّامَ ذُو الْأَقْلَامِ يُدْعَى حَاطِبًا
تَخْذُ الْمَكَارِمُ مَذْهَبًا لَمَّا رَأَى "لِلنَّاسِ فِيمَا يَعِشَقُونَ مَذَاهِبًا"⁽²⁾

يقول الشاعر بأن علاء الدين من المجددين في دين الله عن طريق الاجتهاد والإصلاح وترك التقليد، فقد ورد عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام-: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ سَنَةٍ مَنْ يَجِدُ لَهَا دِينَهَا"⁽³⁾، وهو من اتخذ من الأخلاق والاستقامة مذهبًا ونهجًا في حياته فهذا نهجه الذي يحب.

وقال يمدح علاء الدين⁽⁴⁾:

[البسيط]

فَإِنْ حَمَوْا بِيضَةَ الْأَسْلَامِ إِنَّهُمْ مِنْ سَادَةِ فِي صَمِيمِ الْعَرَبِ أَمْحَاخُ

يقول الشاعر بأن آل فضل الله هم من يحمون كيان الإسلام المُتَقَوِّمَ بشعائره والمتدينين به، فهم أصل سادة العرب.

وقال فيه قصيدة يهنئه بالحج⁽⁵⁾:

[البسيط]

وَلابن يحيى الذي تَغْنَى المحول بهِ بروقَ بِشْرِ وِراها القطرُ مقطورُ
من بركة الحبِّ حتَّى بُنِرَ زمزم لا محلٌّ بِنُعْمَاهُ الْآ وهو ممطورُ
فِيالهُ محرَّمًا في حجةٍ عُبِّت رِيَّاهُ وهو صحيح النَّسكِ مسرورُ

(1) ابن نباتة، الديوان، ص27.

(2) في هذا البيت تضمين لعجز بيت لأبي فراس الحمداني، سيتم توضيحه في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(3) سنن أبي داود، 349/4291.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص106.

(5) ابن نباتة، الديوان، ص205.

مستقبلُ الكعبة العُظمى له طربُ	حيث السّـتور وتمجيدٌ وتطهيرُ
يطوفُ منك على الأركانِ رُكنُ تقى	عالٍ له سندٌ في الفضلِ ماثورُ
وبيتُ مكة يا ذا البيت من عمرٍ	بذكرِ نفعك للإسلامِ معمورُ
وسنة لك في التحليقِ عاليةٌ	وما لمثلك في العلياءِ تقصيرُ
وفي منى جمراتٌ ما لها ثمنٌ	لكن لها في حشا الشّيطانِ تسعيرُ
وحبّا سنة في الحجّ زاهرة	ست كما قيل فيها الخيرُ والخيرُ

يتحدث الشّاعر في الأبيات السابقة عن مناسك الحج من طواف ورمي جمرات وسعي، ويقول بأن علاء الدّين قد أنعم بنعمه وفضله حتى وصلت بئر زمزم، وتتبعث منه رائحة الطّيب، وأنه يخلص بحجته إلى وجه الله تعالى، ويقول بأنه تقى ورع يخشى الله سبحانه وتعالى، ويذكر نسبه لجده عمر بن الخطاب ونفعه للإسلام والمسلمين وحفاظه على الشرائع الإسلامية، ورمي الجمرات وتأثيرها على الشّيطان الرّجيم، وله الفضل الكثير وأنه يتمتع بصفات الكرم والشرف والأصل الطيب، وقد تلاعب ابن نباتة في هذه الأبيات بالألفاظ فعندما قرن التحليق والذي يعني قص خصلة الشعر في التحليل من الحج، بعلو الرّفعة، فهو يخلق في سماء المجد، ولولا هذا الفعل الذي بدونه يبطل الحج، فما شأنه التّقصير "أي حلق الشّعر".

وفي القصيدة ذاتها يقول⁽¹⁾:

يا ابن الخِلافة في البيت العتيق له	نفعٌ جديدٌ على الإسلامِ محبورُ
يا شارع الأمر في جودٍ وعادلُهُ	فجوده حاضِرٌ والعدْلُ محظورُ
يا مَنْ لتقواه في مسك الثّنا عبَقُ	مزاجُهُ من بياضِ العرضِ كافورُ

يذكر الشّاعر نسب علاء الدّين لجده الخليفة عمر بن الخطّاب، ونفعه وفضله في نشر الشرائع الدينية والاجتهاد والتجديد في الشرائع للحفاظ على الإسلام، ويتحدث عن نشره للقوانين الفاضلة التي تقوم على العدل والجود، وذكر علاء الدّين التّقي الورع ذا الرائحة العطرة حيث شبهه بشجرة الكافور.

⁽¹⁾ ابن نباتة، الديوان، ص206.

وفي قصيدة أخرى قال⁽¹⁾:

[الخفيف]

يا ابنُ يحيى دُنياهُ بالدِّينِ والفضـ م ل منسّي فضيلُها ابن عيّاض

ابن فضل الله الفضيل التقي دنياه كلها دينٌ وفضل حتى أنه أنسى الناس الفضيل ابن عيّاض
اليحصبي.

وفي قصيدة أخرى في علاء بن فضل الله قال⁽²⁾:

[البسيط]

بأول الحال منكم أو بآخره يراكم الله تأييداً لإسلام
إما بأرماح أقلام لكم عرفت لياقته الحد أو إرماح أقلام

آل فضل الله هم التّاصرون لدين الله المؤيدون المحافظون على قوام الإسلام وأصوله، فقد أيّد الله
سبحانه وتعالى الإسلام بهم، وذلك بأقلامهم التي خطّت علومًا نافعة.

ثانيًا_ محيي الدين بن فضل الله:

كتب الشاعر قصيدة في محيي الدين كانت تحمل صفات ودلائل دينية، فقال⁽³⁾:

[البسيط]

قل للذي نهضت للمجد همته ضاهى السّماك ويحيى لا يضاويه
إنّ السّيادة قد نضت سوافها لواحد العصر يُصيّبها وتُصيّبه
مقسّم الدّين والدّنيا على شيم قد أتعبت في المعالي من يُجاريه
أيامه للغلى والمجد قائمة وللعفاف وللتقوى لياليه
ما زال يعمل آراء وأعيّة حتى استوى الملك في أعلى صياصيه

(1) ابن نباتة، الديوان، ص280.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص442.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص565.

وَاسْتَوْثَقَ الْعَدْلُ فِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِهَا جَانِ سِوَى رَاتِعٍ فِي الرَّوْضِ يَجْنِيهِ
يَا مَنْ لَهُ الْفَضْلُ بِأَدْيِهِ وَحَاضِرُهُ وَمَنْ لَهُ الْقَصْدُ دَانِيَهُ وَقَاصِيَهُ
دَيْنُ الرَّجَا قَدْ تَنَاهَتْ لِي مَطَالِبُهُ عَلَى الزَّمَانِ وَلَكِنْ أَنْتَ قَاضِيَهُ

رسم ابن نباتة صورة واضحة المعالم لممدوحه يحيى الذي قلَّ أن يجاريه مجارٍ، أو يصل إلى رتبته أحدٌ، فلذلك مهما علا أحد وارتقى صعوداً في سلّم المجد فإنه لن يصل إلى مكانته، فالسيادة من ملكته أعتتها وأعطته زمامها، فهو فريد زمانه.

ويمضي الشاعر متحدّثاً عن صفاته التي أتعبت من يجاريها، فلا يمكن له النوال ولو بجزءٍ منها، فقد جعل ابن فضل الله دنياه قسمين:

الأوّل خصّه للدنيا حيث ارتقى للعلا رغبة في نوال المجد والرّفعة، والثّاني خصّه للإقبال على الله سبحانه وتعالى والنّمسك بشريعته، فكان عفيفاً تقيّاً صالحاً عابداً زاهداً يقطع ليله بالتّبتّل إلى الله بالعبادة.

وكان عادلاً في الدّنيا، وأفضاله على النّاس حاضرة في كل البلاد في البدو والحضر، ويؤمّه الجميع على السّواء، القاصي والدّاني رغبة في عدله وإنصافه، وهذا ما كان عليه طوال حياته. وهكذا تكون صورة آل فضل الله التي رسمها الشّاعر في قصائده قد اكتملت، وهي صورة من أجمل الصور الإيجابية، ذكر من خلالها شاعرنا مجموعة من الصّفات الحسنة في آل فضل الله، من أهمها: الكرم، والنّسب، والعلم، والدّين، والمكانة السياسية والسيادة والرّفعة في المجتمع.

وبعد دراسة هذه الأمثلة من شعر ابن نباتة أرى أنه من باب الظلم وصم هذا العصر بالضّعف والانحطاط، ولذلك وبعد دراستي هذه التي اضطلعت بها في شعر واحد من شعراء هذا العصر فإنه أبدع وأجاد، فألفاظه رقيقة وكلماته سهلة جزلة، تمتاز باللطافة، وقد كان قليل الابتكار للمعاني كثير التكرار لها، وما ينطبق على شاعرنا قد ينطبق على سائر أو بعض شعراء تلك الحقبة التاريخية زمن المماليك.

الفصل الثالث

الدراسة الفنيّة

المبحث الأول: اللّغة

أولاً: استخدام الألفاظ العاميّة والمستحدثة

ثانياً: تأثر ابن نباتة بأسلوب السّابقين

المبحث الثاني: الأسلوب

أولاً: مذهب السّهولة

ثانياً: المقطوعات

ثالثاً: المحسنات البديعيّة

1. الجناس

2. الطّباق

3. التورية

4. التوجيه

5. تأكيد المدح بما يشبه الذّم

رابعاً: الاقتباس

خامساً: التّضمين

سادساً: توظيف المصطلحات

1. مصطلحات الصّرف

2. المصطلحات العروضية

3. مصطلحات الحديث

المبحث الثالث: الخيال

المبحث الرابع: الموسيقى

أولاً: الموسيقى الخارجية

ثانياً: الموسيقى الداخلية

المبحث الأول: اللغة

لم تكن اللغة والأسلوب الشعري تتدرجان تحت مستوى واحد في كل عصور الأدب، فكل عصر لغته التي يتميز بها، لاختلاف الزمن والظروف المحيطة، وكذلك تختلف باختلاف أغراضها الشعرية، فالغزل يحتاج إلى لغة تختلف عن لغة الهجاء، فالغزل يحتاج لغة رقيقة في ألفاظها، بينما الهجاء يقوم على الألفاظ القاسية⁽¹⁾.

وفي العصر المملوكي لجأ الشعراء إلى اللغة التي تتناسب ومقاييس الذوق الأدبي في ذلك الزمان الذي يعيشون فيه، ففي هذا العصر قلّت مستويات اللغة الفصحى التقليدية، وحلّت مكانها لغة تمتاز بالسهولة، فكانت مزيجاً من الفصحى والعامية السائدة، فاختاروا الألفاظ السهلة العذبة والتراكيب السّمة، وابتعدوا عن التكلف والتعقيد والألفاظ الغريبة، وذلك لمجاراة الذوق العام، ولانتشار أشعارهم وديوعها⁽²⁾.

واتفق دارسو الشعر في العصر المملوكي في حكمهم على لغة ابن نباتة، فقالوا إن لغته تغلب على ألفاظها السلاسة والجزالة وسهولة التعبير، وهجرت كل ما يؤدي حركات الصوت وتردد النفس، وهي ظاهرة مفهومة لدى العامة والخاصة على حدّ سواء، فلا تحتاج في فهم معانيه إلى معجمات اللغة، وقد نجح ابن نباتة في توظيف ألفاظه توظيفاً حسناً، فحسّن الشعر رقة ألفاظه ودقة معانيه وجمال أسلوبه، وبذلك لا يشعر المتلقي بتنافر الكلمات ولا يقرب المعنى إلى ما ترفضه النفس ويستهنه الذوق، وجاءت تراكيبه قوية رصينة، امتازت بصياغة محكمة واضحة⁽³⁾. يقول معبراً عن لغته الشعرية⁽⁴⁾:

[الوافر]

وَرِثْتُ اللَّفْظَ عَنْ سَلْفِي وَأَكْرَمُ بَالَ نُبَاتَةَ الْغُرِّ السَّارَةَ
فَلَا عَجَبَ لِلْفَظِي حِينَ يَخْلُو فَهَذَا الْقَطْرُ مِنْ ذَاكَ النَّبَاتِ

(1) ينظر: ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، 200/1.

(2) ينظر: محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، 377/8.

(3) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 275؛ محمود محمد سالم، ابن نباتة شاعر العصر المملوكي، ص 379.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 80.

بيّن ابن نباتة في بيتيه رفعة نسبه، ورسوخ أهله في العلم، وهذا كان عاملاً في جعل ألفاظه جميلة في الصياغة، إذ هو غصن من شجرة، وألفاظه مستمدة من ابن نباتة فهي كالقطر، وألف ابن نباتة كتاباً أسماه "القطر النباتي"، وقد أعلمنا عن سلفه من خلال اسم الإشارة "ذاك"، فكانت ألفاظه تمتاز بالركة، والدقة، والعذوبة، والحلاوة.

وكان ابن نباتة أحد الذين وقفوا سداً منيعاً في وجه بعض التيارات الأدبية المعاصرة والتي أفلتت من طوق الفصحى واتخذت العامية أسلوباً خاصاً لها، فكان هناك صراع بين الفصحى والعامية، ولكن في ظاهرها كانت بين ابن نباتة وابن مقاتل⁽¹⁾، وقيل إن ابن نباتة وصفي الدين الحلبي (ت750هـ) اجتمعا عند المؤيد صاحب حماة، فدخل عليه ابن مقاتل فأنشده زجلاً قاله فيه التزام أمور كثيرة وهو في نهاية الانسجام، وجاء في آخره: "ملحون بألف مُعرب" فالتفت ابن نباتة إلى صديقه الحلبي وقال متهمّاً على مرأى المؤيد ومسمعه: "ملحون بألف مُعرب"⁽²⁾.

ونظم ابن نباتة في كل الفنون الشعرية، إلا أنه لم ينظم شطراً زجلياً واحداً، برغم انتشار هذا الفن، وتفنن الزجالون في نظمه، فقد ترقّع ابن نباتة عن الاتجاه الشعبي وإن ظهرت آثاره في شعره.

أولاً: استخدام الألفاظ العامية والمستحدثة

وردت بعض الألفاظ العامية والمستحدثة في عصر السلاطين المماليك وذلك نتيجة لانتشار الأدب الشعبي ونيله اعتراف أهل الأدب فأثر ذلك في الأدب الفصيح تأثيراً واسعاً، وبدأ الشعراء والأدباء يقلدون أدباء العامية في اللغة والأسلوب⁽³⁾، وقد تأثر بذلك كثير من أدباء ذلك العصر، وابن نباتة واحد من هؤلاء الأدباء الذين لم يكونوا مستبعدة عن هذا التأثير.

(1) هو علي بن مقاتل بن عبد الخالق الحموي، التاجر، الزجال، ولد سنة 674هـ، في حماة، وتعلّم الأدب فتعلّم الشعر قليلاً وغلب عليه نظم الأزجال فاشتهر بها، وتوفي سنة 761هـ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 3/133-134.

(2) ابن حجر، الدرر الكامنة، 3/134.

(3) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 275-276؛ محمود محمد سالم، ابن نباتة شاعر العصر المملوكي، ص 379.

ومن هذه الألفاظ لفظة (سَتِّي) في قول الشاعر⁽¹⁾:

[الزمل]

حُبَّهَا تَحْتِي وَفَوْقِي وَيَمِينِي وَشِمَالِي وَأَمَامِي وَوَرَائِي
فَهِيَ سِتِّي مِنْ جِهَاتِي وَلَدِيهَا سَيِّدِي مِنْ حَيْثُ وَدِّي وَوَلَائِي

إن كلمة (ستي) للمرأة: يا ست جهاتي، لحنٌ، وقيل: عامية مبتذلة، وهي كناية عن تملكها له، والصواب: سيدتي فحذف بعض حروف الكلمة⁽²⁾.
ويتحدث الشاعر عن (الرَّئِكَ)⁽³⁾، قائلاً⁽⁴⁾:

[الطويل]

مُؤَمَّرَةٌ تَسْرِي إِلَى حَوْمَةِ الْوَعْيِ وَمِنْ أَسْوَدٍ فِي أَبْيَضٍ عِلْمُ الرَّئِكَ

واستخدم مصطلح (الجراية) وهو لفظ مستحدث يعني ما يجري على العلماء من الرزق والمعاش⁽⁵⁾، فقال⁽⁶⁾:

[الكامل]

لَا يَبْأَسَنَّ مِنَ الْجَرَايَةِ مُغْبِرٌ أَوْدَى بِمَحْضَرٍ حَالِهِ الْإِفْلَاسُ

ثانياً: تأثر ابن نباتة بأسلوب السابقين

إذا نظرنا إلى قاموس ابن نباتة اللغوي نراه قد أودع فيه كثيراً من معاني السابقين وصورهم وألفاظهم، فالشعر القديم هو المثل الأعلى عنده، لذلك تطلع إلى أشعارهم وحاول مضارعتهم، فنجد أنه

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 16.

(2) الزبيدي، تاج العروس، مادة ست.

(3) الرَّئِكَ: هو شعار للملوك والأمراء الأتراك والمماليك بمصر، وترسم على ما يخصه من رداء أو أوان أو عمائر؛ نقي الدين المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، 36/3.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 365.

(5) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 289؛ وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة جراية.

(6) ابن نباتة، الديوان، ص 272.

اتبع القدماء في بناء قصيدته وشكلها، والمقدمات التي بدأ بها قصائده متنوعة منها: الوقوف على ديار المحبوبة، والتغزل بها، ووصف الرحلة، ووصف الخمر أحياناً، وصولاً إلى الغرض الأساس⁽¹⁾. فذكر الشاعر الديار الدارسة تمثيلاً على حبه في قوله⁽²⁾:

[الكامل]

تَغْفُو الرُّسُومُ مِنَ الدِّيَارِ وَمَا تَغْفُو رُسُومُ هَوَاكِ مِنْ قَلْبِي

في هذا البيت تأثر ابن نباتة بالشعر الجاهلي الذي أكثر الوقوف على الأطلال وذكر الديار وآثارها، ويقول بأنه من الممكن أن تمحى آثار ديار المحبوبة، ولكن لن يُمحى حبها من قلبه. ومن أشعار الجاهلية التي ذكرت الديار معلقة امرئ القيس، ومنها قول الشاعر⁽³⁾:

[الطويل]

فَتُوضِحْ فَاَلْمِقْرَةَ لَمْ يَغْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جُوبٍ وَشَمَالٍ

وقد أكثر الشاعر من المقدمات الغزلية في مدائحه، منها قوله⁽⁴⁾:

[البسيط]

فِي ثَغْرِهَا الْخُلُوْ أَوْ فِي جِيدِهَا الْحَالِي	لَا أَرْغَمَ اللَّهُ إِلَّا أَنْفَ غُذَالِي
إِنْ يُسَلِّ قَلْبِي بِنَارٍ فِي مَحَبَّتِهَا	فَلَا وَحَقَّ هَوَاهَا لَسْتُ بِالسَّالِي
غَزَالَةَ الْحَيِّ إِشْرَاقًا وَمُلْتَقَا	مَا كُفُوُ جِيدِكَ إِلَّا عَقْدُ أَغْزَالِي
جَمَلْتُ بَيْتِي مِنْ نَظْمٍ وَمِنْ نَسَبٍ	يَا ابْنَةَ الْعَمِّ أَوْ يَا رَبَّةَ الْخَالِ
يَا حَبْذَا الْخَالِ إِكْسِيرًا عَلَى ذَهَبٍ	مَا مِثْلُهُ بِسُؤِيدَا مُهْجَةٍ غَالِي
وَلَا بِأَسْوَدِ عَيْنٍ رُبَّمَا رِبْحَتْ	بِلَمَحَةِ الرَّدْفِ قِنْطَارًا بِمِثْقَالِ
كَحَلْتُ بِالسُّهْدِ جَفْنَيْهَا وَقَدْ وَصَلْتُ	مَسَافَةَ النَّأْيِ أُمِيَالًا بِأُمِيَالِ

(1) محمود محمد سالم، ابن نباتة شاعر العصر المملوكي، ص 133-137.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 32.

(3) امرؤ القيس، الديوان، ص 145.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 385.

فِي كُلِّ لَيْلٍ مَدِيدٍ مِثْلَ شَعْرِكَ مَا مَدَدْتُ لِلصَّبْرِ فِيهَا عَزَمَ مُحْتَالٍ

أكثر ابن نباتة من النسيب والغزل في قصائده المدحية، وقد تأثر بأشعار السابقين له، فكانوا يطيلون هذه المقدمات، ومن أشهر المقدمات الغزلية قصيدة "البردة" التي قيلت في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولعل ابن نباتة أراد من هذا الغزل أن يستميل قلب ممدوحه، وأن يظهره على قوته في الشعر وطول باعه، وقد صرح شاعرنا بأنه يريد استمالة السامعين، وإطرابهم قبل عرض مديحه، فيجد النفوس مستعدة لاستقبال المديح، لذلك أكثر من هذه المقدمات الغزلية. وذلك في قوله⁽¹⁾:

[الكامل]

لَا غَرَوْا إِنْ جِئْتُ النَّسِيبَ بِمَدْحَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا غَزَلَ وَغَيْرِ نَسِيبٍ
هَزَّتْ رُؤُوسَ السَّامِعِينَ بِوَصْفِهِ طَرَبًا فَلَمْ تَخْتِجْ إِلَى تَشْبِيبٍ

واستهلَّ الشاعر بعض قصائده بوصف الخمر، نحو قوله⁽²⁾:

[البسيط]

سَلَبْتُ عَقْلِي بِأَحْدَاقٍ وَأَقْدَاحٍ يَا سَاجِيَ الطَّرْفِ أَوْ يَا سَاقِيَ الرَّاحِ
سَكْرَانُ مِنْ قَهْوَةِ السَّاقِي وَمُقْلَتِهِ فَاتْرُكْ مَلَامَكَ فِي السَّكْرَيْنِ يَا صَاحِي
وَاطْرَحْ بَعِيشَكَ أَثْقَالَ الْمَلَامِ فَمَا حَمَلْتُ وَزْرِي وَلَا كَلَّفْتُ إِصْلَاحِي
دَغْنِي إِذَا صَحَّ نَجْمِي فِي هَوَى قَمَرِي بَبَيْتِ مَالِي أَنْشِي بَيْتَ أَفْرَاحِي
بَجَوْهَرِ الْكَأْسِ يَجْلُو لِي بِهَا عَرْضًا ظَبْيِي يُفْدَى بِأَشْجَبَاحٍ وَأَرْوَاحِ

يقول الشاعر بأن عقله مسلوب بجمال محبوبته وسواد عيونها، وبقدح الخمر الذي تقدمه له، ويصفها بأنها ذات العيون الفاترة، أو بالساقية، ويصف نفسه سكران من قهوتها، ويرفض ملامه صاحبه.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 65.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 105.

وقد أظهر ابن نباتة في قصائده ميلاً شديداً لوصف الخمر، ومجلسها، وأثرها، ويفتن في عرض أوصافها، وذكر أدواتها وسقاتها، لذلك جعلها تقديمًا لبعض قصائده، ويظهر في هذه المقدمات تأثره الكبير بالسابقين⁽¹⁾.

وتأثره بخمريات أبي النّوّاس خاصّة، ومنها قوله⁽²⁾:

[الخفيف]

عَاذِلِي فِي الْمُدَامِ غَيْرَ نَصِيحِي	لَا تَلْمَنِي عَلَى شَفِيقَةِ رُوحِي
لَا تَلْمَنِي عَلَى التِّي فَتَنَنِي	وَأَرْتَنِي الْقَبِيحَ غَيْرَ قَبِيحِ
قَهْوَةٌ تَرِكَ الصَّحِيحَ سَقَمًا	وَتُعِيرُ السَّقَمَ ثُوبَ الصَّحِيحِ
إِنْ بَذَلِي لَهَا لَبَازُلُ جَوَادٍ	وَاقْتَنَائِي لَهَا اقْتِنَاءَ شَحِيحِ

وقد مزج الغزل بذكر الخمر في بعض القصائد، ومنها قصيدة قالها في مدح شهاب الدين بن فضل الله حيث بدأها بالغزل⁽³⁾:

[الوافر]

خُلِفْتَ عَلَى مُرَادِي وَافْتِرَاحِي	فَذِكْرُكَ حَضَرْتِي فِي وَقْتِ رَاجِي
وَلِي مِنْ طَرَّةٍ لَكَ أَوْ جَبِينِ	شُجُونٌ فِي الْمَسَاءِ وَفِي الصَّبَاحِ
بِرُوحِي أَنْتَ ذُو جَفْنٍ كَلِيلِ	وَعَيْنِي مِنْهُ دَامِيَّةُ الْجِرَاحِ
غَزَانِي جَفْنُهُ وَشَاكَ فُتُورًا	فَوَاحِرِيَاهُ مِنْ شَاكِي السَّلَاحِ
وَتِيَاهُ سَمَحَتْ لَهُ بِدَمْعِ	يَرَى أَنَّ السَّمَاحَ مِنَ الرِّيَاحِ
وَمَالِي لَا أَسِيلُ أَجَاجَ دَمْعِي	عَلَى عَذْبٍ مَبْسَمِهِ قِرَاحِ

(1) محمود محمد سالم، ابن نباتة شاعر العصر المملوكي، ص 136.

(2) أبو نواس، الديوان، ص 79.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 102.

وانتقل الشاعر من الغزل إلى ذكر الخمر ووصف السّاقى في القصيدة، فقال⁽¹⁾:

[الوافر]

وَكَاسَاتٌ أَشَدَّ يَدَيَّ عَلَيْهَا	مَخَافَةً أَنْ تَطِيرَ مِنَ الْجَمَاحِ
صَفَتْ فَصَفَا الزَّمَانُ وَبَشَّرَتْنَا	فَحَلَقُ دِرْعُ بُشْرَاهَا النَّوَاحِي
وَقَدْ كَالِ النَّدِيمِ بِهَا نَضَارًا	عَلِمْنَا أَنَّهَا دَاعِي السَّامِحِ
بِكَفِّ مُزْرَكَشِ الْأَصْدَاغِ تَهْوَى	لِقُبْلَتِهَا وَجُودَ اللَّمِّحِ
عَشَوْتُ لِكَأْسِهِ لَا لِلثُّرَيَّا	وَنَسِرُ الشُّهْبِ خَفَاقَ الْجَنَاحِ

ثم أراد الشاعر الانتقال إلى موضوعه الرّئيس، (مدح ابن فضل الله) فجاء بوصف الرحلة والراحلة ليتم الانتقال، وليترك شعورًا لمدوحه أنه عانى في الوصول إليه، لكن ابن نباتة لم يرتحل ولم يعان مشاق السّفر، بل وصف الرحلة مفترضًا مستمدًا من الشعر القديم في معانيه وألفاظه، فقد اتخذ الرحلة وسيلة للتخلص والانتقال من المقدمة للمديح⁽²⁾، فقال⁽³⁾:

[الوافر]

إِذَا أَبْصَرْتَ جَدًّا مِنْ زَمَانٍ	فَخَالِطُهُ بِشَيْءٍ مِنْ مَزَاحٍ
وَلَيْلٍ ظَلَّتْ فِيهِ لِفَرْطِ عَزَمِي	كَأَنَّ الشُّهْبِ مِنْ شَرَرِ اقْتِدَاحِي
وَمَوْحِشَةِ الْمَفَاوِزِ فِي رُبَاهَا	طَغَتْ إِبْلِي وَسَلَنَ مَعَ الْبِطَاحِ
أُرْشُخْ ذَا الْخَمَائِلِ مُشْمَعِلًا	بِهَا وَأَحِيدُ عَنْ ذَاتِ الْوِشَاحِ
لَعَزُّ أَوْ لَوْفَرٍ أَجْتَنِيهِ	عَلَى وَفْقِ اخْتِيَاجِي وَاجْتِيَاجِي
عَلَيَّ بِهَا السَّرَى وَعَلَى أَيَادِي	بَنِي الْفَارُوقِ إِدْرَاكَ النَّجَاحِ

جعل ابن نباتة الشهب تنقذ لسرعة حركته وسيّره ليلاً وشدة عزمه في الوصول إلى ممدوحه، ووصف رحلته على الإبل في الصحاري الموحشة، وقد اختار لنفسه الجمل الشديد القوي، والبعد عن

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 102.

(2) محمود محمد سالم، ابن نباتة شاعر العصر المملوكي، ص 137.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 103.

الناقة التي شبهها بالفتاة الجميلة، ففضّل القوّة على الجمال ليصل لممدوحه أسرع. وذكر السبب وراء هذه الرحلة وهو الوصول إلى ممدوحه ليجتني كل ما يحتاجه من عز ومال وفير، وقد سار براجلته وأدّى ما عليه، وجاء دور بني الفاروق لإنجاح مقاصده.

واستخدم الشاعر رحلته في التخلص من المقدمة إلى المديح في قصيدة أخرى، فقال⁽¹⁾:

[البسيط]

وَرَبِّ شَائِمَةٍ عَزَمِي وَمُرْتَحِلِي إِلَى حِمَى مِصْرَ أَشْكُو جَفْوَةَ الشَّامِ
قَالَتْ: وَرَاءَكَ أَطْفَالٌ، فَقُلْتُ لَهَا: نَعَمْ، وَنُعْمَى ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ قُدَّامِي
لَوْلَا عَلَيَّ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ مَا اسْتَبَقْتُ سَفَائِنُ الْعَيْسِ فِي لَحَجِّ الْفَلَا طَّامِي

في هذه الأبيات ذكر الشاعر مخاطبة اللائمة على رحلته، المنشائمة من عزمه ونيته الارتحال من الشام إلى مصر، وذكر كذلك معناته في الشام وجفوتها، فقالت له: وراءك أطفال في الشام، قال الشاعر: نعم، ولكن نعم وفضل ابن فضل الله أمامه ولن يتركها، ولولا وجود ابن فضل الله لما تسابقت الجمال في الصحاري للوصول إلى كرم وفضل ابن فضل الله. وإن هذا الحوار مع اللائمة مناسب للتخلص من المقدمة إلى ذكر همومه وحظه العاثر في الحياة، ويعرض حاجته وغرضه في مطلع المديح بطريقة غير مباشرة⁽²⁾.

لكن شاعرنا لم يتبع القدماء في كل شيء، ففي بعض القصائد ترك المقدمات وباشّر موضوعه، إذ لم يكن يحتاج إلى المقدمات⁽³⁾. مثل قوله في قصيدة يُهنئ فيها ابن فضل الله بالأوبة من الحج⁽⁴⁾:

[البسيط]

بُشْرَاكَ إِنَّ السَّرى وَالْعَوْدُ مَبْرورُ وَإِنْ سَغِيكَ عِنْدَ اللَّهِ مَشْكورُ
وَإِنْ حَجَّكَ فِي عَافٍ بِمِصْرَ دَعَا كَمِثْلِ حَجَّكَ بِالْبَطْحَاءِ مَوْفورُ

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 442.

(2) محمود محمد سالم، ابن نباتة شاعر العصر المملوكي، ص 138.

(3) محمود محمد سالم، ابن نباتة شاعر العصر المملوكي، ص 137.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 204.

المبحث الثاني: الأسلوب

أولاً: مذهب السهولة:

ما يلفت الانتباه في العصر المملوكي، هو غلبة مذهب السهولة عليه، فجاء القليل منه جزلاً وما عداه جاء خفيف اللَّفْظ واضح المعنى، وجاءت التراكيب سمحة بعيدة عن الألفاظ الغريبة⁽¹⁾. وانتشر هذا المذهب وشاع في ذلك العصر بصورة واضحة. وفي ميدان هذا المذهب نجد ابن عبد الظاهر (ت692هـ)⁽²⁾، وشهاب الدين بن فضل الله (ت749هـ)، ابن نباتة المصري الذي طبع شعره بالسهولة والوضوح والركة والرشاقة، وابن حجة (ت837هـ)⁽³⁾، والصفدي (ت764هـ). ومما شجع على شيوعه، وقوف الكثير من النقاد إلى جانبه، ومدافعتهم عنه، ودعوتهم إليه، ومن هؤلاء: صفي الدين الحلي (ت750هـ) أحد نقاد هذا العصر، ولون الثقافة التي تنفقوا بها، وتفشي العامية والغناء الذي أثر على الشعر، ودور المقطوعات التي اجتهد الشعراء أن تكون خفيفة لطيفة تدخل القلب وتأسره⁽⁴⁾. وابن نباتة قد تبنى هذا المذهب، ومن أمثلة ذلك قوله مادحاً علاء الدين بن فضل الله⁽⁵⁾:

[الوافر]

عَلَاءُ الدِّينِ دُمْتَ لَنَا مَلَاذًا وَغَوَّثْنَا إِنْ أَقْمَنَّا أَوْ نَأَيْنَا
لَبِسْتَ مِنَ السَّيَادَةِ ثَوْبَ فَضْلٍ تَعَوَّدَ ذِيْلُهُ عَطْفًا عَلَيْنَا

وضح الشاعر في هذه الأبيات أن علاء الدين هو ملاذ المحتاجين وغوْثهم ، وأن هذا الممدوح اعتاد أن يعطف على من يحتاجه، بغير تكلف ومبالغة.

(1) أحمد الهيب، الحركة الشعرية زمن المماليك، ص376؛ محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، 380/8. عبده قلقيلة، النقد الأدبي في العصر المملوكي، ص283-286.

(2) هو محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين أبو محمد عبد الظاهر بن نجدة، الجذامي الروحي، السعدي، المصري، الضرير ولد سنة 620هـ، وتوفي سنة 692هـ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 38/8-39.

(3) هو أبو بكر بن علي بن عبدالله الحموي الأزرازي، تقي الدين ابن حجة، إمام أهل الأدب في عصره، وكان شاعراً جيد الإتياء، ولد سنة 767هـ، وتوفي سنة 837هـ؛ الزركلي، الأعلام، 67/2.

(4) محمد كامل الفقي، الأدب العربي في العصر المملوكي، ص177؛ عبده قلقيلة، النقد الأدبي في العصر المملوكي، ص283-287.

(5) ابن نباتة، الديوان، ص520.

ثانيًا: المقطوعات:

تقابل المقطوعات القصائد الكاملة وقد غلبت على الشعر في العصر المملوكي؛ لأنها تستجيب لتوجههم نحو الصنعة أكثر من القصيدة الكاملة ولأنهم كانوا يرونها أكثر تصويرًا لما في نفوسهم، وأن كثيرًا من الشعراء لم يكونوا متفرغين لنظم الشعر، وإنما كان النظم مجرد هواية في أوقات معينة⁽¹⁾. ومن خصائص أسلوب ابن نباتة الميل إلى المقطوعات وقد أكثر منها وعبر بها عن كل مقاصده الشعرية، وسماها بعدد أبياتها: فعنده المثنائي، والمثالث، والخماسيات، والسبعة السَّيارة، وهناك مقطوعات من أربعة أبيات أو ستة أبيات⁽²⁾. ومثال على المثنائي ما قاله مهنّا ولد الأمير ناصر الدين بن فضل الله بإمرة عشرة⁽³⁾:

[المنسرح]

هَنَّتْهَا إِمْرَةٌ مُجَدِّدَةٌ يَا ابْنَ السُّرَةِ الْأَكَابِرِ الْبَرَّةِ
أَقْسِمُ مِنْ ذَا وَذَا بِأَنْتُمْ وَجَدْتُمْ مِنْ أَكَابِرِ الْعَشَرَةِ

لم يحتج ابن نباتة أكثر من بيتين ليؤدي التهنية، ويشيد بنسب ابن الأمير ناصر الدين. فالمثنائي ملائمة للمعاني المحدودة.

وجاء في السبعة السَّيارة قوله في مدح علاء الدين بن فضل الله⁽⁴⁾:

[الكامل]

جَاءَ الْبَشِيرُ بِهَا فَقُلْتُ لِذُرِّهِ لَفْظًا وَفَضْلًا شَنْفَ الْأَسْمَاعِ
سَمَرَاءُ إِلَّا أَنَّهَا حَنِيطِيَّةٌ تَزُوي عَطَاشًا لِلْقَا وَجِيَاءَا
وَكَرِيمَةُ الْأَنْسَابِ أَصْدَقُهَا النَّدَى كُفُوًا إِذْ أَمَرَ الْقَرِيضُ أَضَاعَا
يَا آلَ فَضْلِ اللَّهِ دُمْتُمْ فِي الثَّنَا وَالْأَجْرُ كُنْزًا لِلْغَفَاةِ مَشَاعَا

(1) محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد، ص 99.

(2) محمد كامل الفقي، الأدب العربي في العصر المملوكي، ص 139؛ محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد، ص 98.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 237.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 309.

وَتُؤْمَرُونَ قَصَائِدِي مِنْ بَعْدِ مَا كَابَدْتُ مِنْ حَالِي الضَّعِيفَ ضَيَاعَا
 كَمْ ضَيِيعَةً لِلْحَالِ كَانَتْ قِطْعَةً فَغَدْتُ بِضَيِيعَةٍ غَلَّةٍ أَقْطَاعَا
 يُسْقَى نَدَاكُمْ مِنْ نُبَاتِي الثَّنَا زَرْعَا يُغَاثُ فَيَعْجِبُ الزَّرَاعَا⁽¹⁾

كَثُرَتِ المَقْطُوعَاتُ عِنْدَ ابْنِ نَبَاتَةَ، وَأَصْبَحَتْ تَمَثِّلُ لَدَيْهِ نَهْجًا شَعْرِيًّا ثَابِتًا، وَلَمْ تَكُنْ عَفْوَ الْخَاطِرِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَقْصِدُ إِلَيْهَا، وَعَبَّرَ بِهَا عَنْ كُلِّ مَقَاصِدِهِ الشَّعْرِيَّةِ، وَتَضَمَّنَتْ مَوْضُوعَاتٍ مُخْتَلِفَةً مِنَ الشَّعْرِ وَمِنْهَا: الْغَزْلُ، وَالْمَدِيحُ، وَالرِّثَاءُ. وَأَجَادَ ابْنُ نَبَاتَةَ فِي بِنَاءِ مَقْطُوعَاتِهِ الشَّعْرِيَّةِ، وَكَانَ صَاحِبَ أُسْلُوبٍ جَمِيلٍ⁽²⁾.

ثالثاً: المحسنات البديعية:

البديع لغة: مأخوذ (بَدَعَ)، هو الشيء الذي يكون أولاً⁽³⁾. اصطلاحاً: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة⁽⁴⁾. أما بمعناه الفني البلاغي: هو شيء جديد مبتدع⁽⁵⁾.

ولعلَّ ما يميز أسلوب الشعر في العصر المملوكي تهافت الشعراء على المحسنات البديعية من: جناس، وطباق، وتورية، وغيرها من ألوان البديع المختلفة⁽⁶⁾. وأصبحوا لا يستحسنون الشعر إلا بقدر

(1) في البيت اقتباس بالإشارة إلى قوله تعالى: "مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقٍ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۚ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا". سورة الفتح، الآية 29.

(2) محمود محمد سالم، ابن نباتة شاعر العصر المملوكي، ص 148-150.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة بدع.

(4) يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ص 169.

(5) مصطفى الصاوي، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، ص 177.

(6) محمد كامل الفقي، الأدب العربي في العصر المملوكي، ص 139.

ما فيه من فنون البلاغة⁽¹⁾، وابن نباتة سار على نهج الشعراء في عصره، فكان ممن أقبلوا عليه، واستخدم البديع بنوعيه: المعنوي، واللفظي، وستتناول هذه الدراسة بعض الفنون البديعية التي برزت في شعره، وهي: الجناس من المحسنات اللفظية، والطباق، والتورية، والتوجيه، وتأکید المدح بما يشبه الذم من المحسنات المعنوية.

1. الجناس:

هو تشابه اللفظين في النطق، واختلافهما في المعنى⁽²⁾. وسبب هذه التسمية أن حروف ألفاظه مركبة من جنس واحد⁽³⁾. والجناس نوعان: التام، والناقص. التام: هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها، واختلافها في المعنى⁽⁴⁾. وقد قال عنه الحموي: "هو أكمل الأنواع إبداعاً، وأسمها رتبة، وأولها في الترتيب"⁽⁵⁾. ومن أمثلة الجناس التام في شعر ابن نباتة قوله⁽⁶⁾:

[السريع]

لَحْظُكَ فِي الْفَتْكِ هُوَ الْبَادِي يَا فِتْنَةَ الْحَاضِرِ وَالْبَادِي

في هذا البيت استخدم ابن نباتة الجناس المماثل، إذ جانس بين لفظين من نوع واحد وهو الاسم، فالبادي في الشطر الأول بمعنى أول الشيء، والبادي في الشطر الثاني بمعنى من يسكن البادية.

واستخدم الجناس المستوفى الذي يقع بين لفظين من نوعين مختلفين كاسم وفعل في قوله⁽⁷⁾:

(1) أحمد فوزي الهيب، التصنع وروح العصر المملوكي، ص 10.

(2) ابن الأثير، المثل السائر، 262/1.

(3) ابن الأثير، المثل السائر، 262/1؛ والقزويني، الإيضاح، 535/1.

(4) يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ص 144.

(5) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ص 37.

(6) ابن نباتة، الديوان، ص 145.

(7) ابن نباتة، الديوان، ص 29.

[الطويل]

فَيَا لَيْتَ يَخْيَى الْآنَ يَخْيَا فَيَجْتَنِي مَحَاسِنَ مِنْهَا خَيْلُهُ وَشَبَابُ

جانس الشاعر بين يحيى اسم والد الممدوح علاء الدين، وبين يحيا الفعل بمعنى يعود للحياة.

واستخدم ابن نباتة الجناس المركب، وسمي بهذا الاسم لأن أحد ركنيه مركب من كلمتين، وإن اتفق لفظاه في الخط سمي متشابهًا، وإن اختلفا فيه سمي مفروقًا⁽¹⁾. وما يمثل الجناس المركب المفروق قوله⁽²⁾:

[الكامل]

قَمَرًا نَرَاهُ أَمْ مَلِيحًا أَمْ رَدَا وَلِحَافُهُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ أَمْ رَدَى

جانس في هذا البيت بين لفظ "أمردا" في الشطر الأول، وتعني الشاب الذي طلع شاربه ولم تبد لحيته⁽³⁾، "وأمر ردى" في الشطر الثاني، وتتكون من أمر حرف العطف، وردى وتعني الهلاك. وقوله⁽⁴⁾:

[البسيط]

لَا تَسْأَلِ الصَّبَّ عَنْ سُلْسَالٍ أَدْمَعِهِ مَلَذَذًا بِتَعَاظِيهَا وَسَلِّ سَالِي

جانس الشاعر في هذا البيت جناسًا مركبًا مفروقًا، بين سلسال في الشطر الأول وتدل على جريان الدمع بغزارة، وسل سالي في الشطر الثاني التي تتكون من: سل يعني اسأل، وسالي مأخوذ من سلا وتعني أبغضه وتركه⁽⁵⁾.

(1) الصَّفدي، روضة المجانسة، ص 122.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 144.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة مرد.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 388.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة سلا.

الجناس الناقص: هو دخول الاختلاف على لفظي الجناس بوجه من الوجوه، إضافة إلى اختلاف المعنى⁽¹⁾.

ويرد الجناس الناقص في شعر ابن نباتة على عدة أضرب، منها: الجناس المحرّف، واللاحق، والمضارع، والقلب، والمصحف. ومما يمثل الجناس المحرّف قوله⁽²⁾:

[الكامل]

وَإِذَا دَعَوْتُ بَنَانَ أَحْمَدَ جَاوَبْتُ سَحْبُ النَّدى مِنْ قَبْلُ مَا سَمِعَ النَّدا

فجانس الشاعر بين كلمة النَّدى وتعني قطرات الماء، وكلمة النَّدا وتعني المناداة. فهنا الجناس محرّف وهو: ما يتفق فيه اللفظان في عدد الحروف وترتيبها ويطرأ الاختلاف في الحركات فقط⁽³⁾. والجناس اللاحق: الذي يقع في الحروف غير المتقاربة في المخرج⁽⁴⁾. وورد في قول الشاعر⁽⁵⁾:

[الطويل]

وَذُو الدَّوْحَةِ العَلِيَاءِ أَرْسَتْ أَصُولَهَا وَطَابَتْ مَجَانِيهَا وَطَالَتْ فُرُوعُهَا

جانس الشاعر بين لفظ طابت وتعني راحة العيش، ولفظ طالت بمعنى امتدت. وجاء الجناس لاحق لأن مخرج حرف الباء بعيد عن مخرج حرف اللام. واستخدم الجناس المضارع: وهو ما أبدل أحد ألفاظه حرف من مخرجه أو قريب من مخرجه⁽⁶⁾. مثل قول الشاعر⁽⁷⁾:

[الكامل]

(1) الصّفي، روضة المجانسة، ص 123.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 144.

(3) يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ص 146.

(4) الصّفي، روضة المجانسة، ص 126.

(5) ابن نباتة، الديوان، ص 301.

(6) ابن حجة، خزنة الأدب، 71/1-72.

(7) ابن نباتة، الديوان، ص 145.

أَفْعَالُهُ وَمَقَالُهُ وَنَوَالُهُ لِلْمُجْتَلِي وَالْمُجْتَنِّي وَالْمُجْتَدِي

جانس ابن نباتة بين لفظ المجتلي وهو من يفارق أرضه (المغترب)، والمجتتي وهو الذي يقطف الثمار ويتناولها، والمجتدي هو الوقور الرصين الجاد في عمله. وجاء الجنس مضارعاً لأن مخرج اللام قريب من مخرج النون ومخرج الدال.

وجناس القلب: هو اختلاف اللفظين في ترتيب الحروف، ويكون بأن يشتمل كل من اللفظين على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقصان، مخالفاً ترتيب الآخر⁽¹⁾. ومثال قول ابن نباتة⁽²⁾:

[الكامل]

كَالتَّبْرِ سَيَّالًا فَلَا أُدْرِي بِهِ جَفْنِي الْمُسَهَّدُ سَابِكًا أَمْ سَاكِبًا

جانس الشاعر بين (سابقاً) وتعني إذابة، و(ساكباً) بمعنى صبّ وسال، ووقع القلب في الحرفين الثالث والرابع، مع بقاء بقية الحروف دون تغيير. وقوله⁽³⁾:

[البسيط]

يَا مُثْرِيَّ الْخَدَّ بِالْمَحْمَرِّ مِنْ ذَهَبٍ دَارِكِ ضَرُورَةَ مُحْتَاجٍ وَمُجْتَاحٍ

جانس الشاعر بين كلمتين، محتاج وتعني مفتقر إلى ضروريات الحياة، ومجتاح وتعني مهلك حزين. ووقع القلب في الحرفين الثاني والخامس، مع بقاء بقية الحروف دون تغيير. وعمد ابن نباتة إلى ضرب آخر، وهو الجنس المصحف: وهو ما اختلف فيه اللفظان في النقط فقط⁽⁴⁾. ومثال على ذلك قوله يمدح علاء الدين على جوده وعطاياه⁽⁵⁾:

[البسيط]

(1) يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ص 146.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 26.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 105.

(4) يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ص 146.

(5) ابن نباتة، الديوان، ص 327.

خُبْزٌ وَخَيْرٌ وَجَبْرٌ بَعْدَمَا نَطَقْتُ فَلِلْمَحَامِدِ تَجْنِيسٌ وَتَصْنَحِيْفُ

جانس بين ثلاث كلمات خُبز وخَيْر وجبر واضحة المعاني، متشابهة في الرَّسْم، مختلفة في اللفظ لاختلاف النقط.

2. الطباق:

هو الجمع بين الشيء وضده، وقد يكون بلفظين من النوع نفسه: اسمين، أو فعلين، أو حرفين. وقد يكون بلفظين من نوعين آخرين⁽¹⁾. وقد شاع الطباق في شعر ابن نباتة، مثل قوله⁽²⁾:

[الطويل]

أَبْتُ لِي دُمُوعِي أَنْ أُمَاكِسَ فِي الْهَوَى فَحَسَنُكَ يَشْرِيهَا وَجَفَنِي يَبِيعُهَا⁽³⁾

أراد الشاعر أن يفرق بين حال العاشق وحال المعشوق، فطابق بين كلمة يشريها، وكلمة يبييعها. وأفاد الطَّباق في هذا البيت تأكيد المعنى وتوضيحه. وطابق شاعرنا بين كلمتي السِّلْم والحرب وهي كلمات متضادة دارجة الاستعمال، في قوله⁽⁴⁾:

[الكامل]

إِمَّا بِخَطِّي الْيَرَاعِ إِذَا الْفَتَى فِي السِّلْمِ أَوْ فِي الْحَرْبِ يَغْدُو كَاتِبًا

وقوله⁽⁵⁾:

[البسيط]

قَابَلْتُ شَعْرَكَ بَعْدَ الْوَجْهِ مُلْتَفًّا فَأَنْعَمَ اللَّهُ إِمْسَائِي وَإِنْصَابِي

(1) القزويني، تلخيص المفتاح، ص78؛ العسكري، الصناعتين 316.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 300.

(3) أماكس: أبخل. ومنه المماكسة في البيع: أي إنقاص الثمن. ابن منظور، لسان العرب مادة (مكس).

(4) ابن نباتة، الديوان، ص27.

(5) ابن نباتة، الديوان، ص105.

أنعم الله على الشاعر بعد مقابلته لمحبيبته، وطابق بين المساء والصباح.

3. التورية:

وهي أن يذكر المتكلم كلمة لها معنيان: قريب غير مقصود، وبعيد مقصود وهو المقصود⁽¹⁾. وتسمّى عند علماء البلاغة بعدة مسميات، منها: الإيهام، والتخيير⁽²⁾. وللقاضي الفاضل فضل السبق إلى هذا الفن، ثم سار على دربه كثير من الشعراء، ومنهم ابن نباتة فقد سار على نهج الطريق الفاضلية على يد من سبقوه من الشعراء؛ لكنه أثبت فيما بعد تفوقه عليهم⁽³⁾، وقد صرح ابن حجة الحموي بهذا في قوله: "فإنه وإن تأخر في السبق على الفحول المتقدمين عصرًا، فقد تقدم عليهم ببديعه وغريبه بيانًا وسحرًا"⁽⁴⁾. وسر جمال التورية يكمن في إثارة الانتباه لالتقاط المعنى المقصود⁽⁵⁾. استخدم ابن نباتة التورية في معظم موضوعاته الشعرية، ومما يمثل تورياته قوله⁽⁶⁾:

[البسيط]

بَيْتٌ أَفَاعِيلُهُ فِي الْفَضْلِ وَازِنَةٌ فَمَا تَرَاهُ غَدَاةَ الْمَدْحِ مُضْطَرِبًا

فكلمة بيت هنا لها معنيان: قريب موزون به، وهو بيت الشعر، المناسب لكلمة أفاعيل ووازنة، وهو غير مراد، ومعنى بعيد موزون عنه، وهو بيت آل فضل الله، وهو المراد. وقال⁽⁷⁾:

[الطويل]

⁽¹⁾ ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 266.

⁽²⁾ ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ص 295.

⁽³⁾ ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ص 355-398.

⁽⁴⁾ ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ص 355.

⁽⁵⁾ ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 267.

⁽⁶⁾ ابن نباتة، الديوان، ص 31.

⁽⁷⁾ ابن نباتة، الديوان، ص 199.

وَقَائِعُ حُبِّ حَارٍ فِي كَرِّهَا فُكْرِي فَمِنْ حُسْدٍ تَمْشِي وَمِنْ أَدْمُعٍ تَجْرِي

كلمة تجري في هذا البيت لها معنيان: قريب، مورى به، وهو تركض، المناسب لكلمة تمشي، وهو غير مراد، ومعنى بعيد مورى عنه، وهو جريان وسيلان الدمع، وهو المعنى المراد. وقال في قصيدة أخرى⁽¹⁾:

[البسيط]

جَمَلْتُ بَيْتِي مِنْ نَظْمٍ وَمِنْ نَسَبٍ يَا ابْنَةَ الْعَمِّ أَوْ يَا رَبَّةَ الْخَالِ

وردت في هذا البيت كلمة الخال ولها معنيان: قريب، مورى به، وهو الخال أخو الأم، المناسب لوجود كلمة العم في البيت نفسه، وهو غير مراد، ومعنى بعيد مورى عنه، وهو الشامة.

4. التوجيه:

هو أن يوجّه المتكلم بعض كلامه أو جملة إلى أسماء متلائمة اصطلاحاً من أسماء الأعلام أو قواعد العلوم، أو غير ذلك مما يتشعب له من الفنون⁽²⁾ للتوجيه حظ وافر في شعر ابن نباتة، فقد وظّف ابن نباتة كثيراً من الألفاظ النحوية في قصائده المختلفة، وقد استخدمها على أوسع نطاق، ولكن أخرجها من حيزها الضيق إلى آفاقها الرمزية، فقد عمد إلى التوجيه بأسماء علماء النحو كالضَّبِّي⁽³⁾

وثعلب⁽⁴⁾، ففي قصيدة في مدح شهاب الدين بن فضل الله قال⁽⁵⁾:

[الكامل]

(1) ابن نباتة، الديوان، ص385.

(2) الحموي، خزنة الأدب، ص136.

(3) هو المفضل بن محمد بن عامر، ويقال المفضل بن محمد بن سالم، بن ثعلبة، أبو محمد الضبّي، الكوفي، إمام،

ومقرئ، ونحوي، ومات سنة 168هـ؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 307/2.

(4) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، أبو العباس النحوي الشيباني، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة،

والشيباني نسبة إلى شيبان حي من بكر بن وائل، ولد سنة 200هـ، وتوفي سنة 291هـ؛ ابن الجزري، غاية النهاية،

135/1؛ الزركلي، الأعلام، 267/1.

(5) ابن نباتة، الديوان، ص35.

أَلْوَى بِثَغْلَبٍ نَفْدُ مُعْرِهَهَا وَعَلَّتْ ذَوَابْنُهَا عَلَى الضَّيْبِ

ومن توجيهه بمصطلحات النحو مثال النحاة الدارج: (ضربَ زيدٌ عمراً)، في قوله⁽¹⁾:

[الكامل]

وَالْعَدْلُ حُكْمًا كَادَ أَنْ لَا يَغْتَدِي زِيدُ النُّحَاةِ بِهِ لَعَمْرُو ضَارِبًا

واستخدم المبتدأ والخبر وذلك بما يخدم المعنى في قصيدته في مدح شهاب الدين، فقال⁽²⁾:

[الكامل]

وَاللَّهِ لَا أَجْرِيْتُ فِي عَدَدِ الْوَرَى خَبَرَ الثَّنَا إِلَّا وَأَنْتَ الْمُبْتَدَا

وذكر أحرف الجر في قوله⁽³⁾:

[الطويل]

يَجُرُّ بِنُونِ الصَّدْغِ قَلْبِي لِلْأَسَى وَمَا خِلْتُ أَنَّ النُّونَ مِنْ أَحْرِفِ الْجَرِّ

وفي القصيدة نفسها جمع بين الحرف، والإعراب، والإعمال، والمرفوع، والمجرور في قوله⁽⁴⁾:

[البسيط]

حَزَفٌ عَلَى صُحُفِ الْبَيْدَاءِ يَعْرَبُ عَنْ إِعْمَالِهَا السَّيْرِ مَرْفُوعٌ وَمَجْرُورٌ

ووجهٌ بعلامات الإعراب في الكشف عن حاله جراء ما يكابده من محبوبة، فقال⁽⁵⁾:

[الطويل]

وَأَنْصَبُ طَرْفِي نَحْوَ طَرْفِ يَشَوْقِي إِذَا مَا التَّقَى فِي الْحُبِّ نَضْبِي وَكَسْرُهُ

(1) ابن نباتة، الديوان، ص27.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص145.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص200.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص204.

(5) ابن نباتة، الديوان، ص207.

أجاد الشَّاعر في توظيف علامة النَّصب في التَّعبير عن حاله وما صاحبها من ترقُّب دائم للقاء الحبيب، فهو دائم النَّظر ناصباً عينيه نحوها على أمل أن يرقَّ قلبها والشَّوق يحدوه للقاءها، وإذا ما النِّقيا فإنَّ آماله تتبدَّد، ويكون نصيبه "الكسرة" الَّتِي عبَّر بها عن كسر خاطره من محبوبه الَّذي جافاه وكسر قلبه.

واستخدم الجزم والفعل الماضي في قوله⁽¹⁾:

[الخفيف]

أَنْتَ أَذْرَى بِحَالَتِي وَبِحَقِّي فَأَعِثِّي بِجَازِمِ الْفِعْلِ مَاضِي

وفي القصيدة نفسها استخدم مصطلحي "الرفع والخفض" في قوله⁽²⁾:

[الخفيف]

وَاسْتَمِعْهَا يَا أَغْرَبَ الْخَلْقِ نُطْقًا ذَاتَ رَفْعٍ وَإِنْ أَتَيْتَ فِي انْخِفَاضٍ

وذكر العطف والبدل في قوله⁽³⁾:

[البسيط]

وَيَأْلَفُ النَّاسُ عَطْفًا مِنْ عَوَارِفِكُمْ فَمَا تَمِيلُ أَوَانِيَهُمْ إِلَى بَدَلٍ

وذكر البدل، والأفعال، ونصب الحال، والمبتدأ في قوله⁽⁴⁾:

[البسيط]

لَا غُرُوَ إِنْ بَدَلْتَ مِنْ عَمَّهَا بَدَلًا وَقَدْ أَغَاثَ حِمَاهَا نَجَلٍ إِبْدَالٍ
وَنَاسَبَ الصَّالِحُ السُّلْطَانُ دَوْلَتَهُ بِصَالِحٍ يَوْمَ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ
كَافِي الْمَمَالِكِ إِنْ نَادَتْ بِرَاعَتِهِ أَجَابَ نَصْرَتَهَا نَصْبًا عَلَى الْحَالِ

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 280.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 280.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 384.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 387.

وَصَاحِبِ السَّرِّ فِي مِصْرٍ ابْتَدَا لَهُ فِي كُلِّ مِصْرٍ مَكَانَ الْحَافِظِ الْكَالِي

5. تأكيد المدح بما يشبه الذم:

وهو أن يستثنى من صفة ذم منفية صفة مدح⁽¹⁾.

ومثال على ذلك قول ابن نباتة⁽²⁾:

[البسيط]

لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى غِلَاءٍ مُخْجَلَةٍ بِمَعْرَبِ الْبَرِّ نُطْقَ اللَّاحِنِ اللَّاحِي

ففي هذا البيت نفى الشاعر عن علاء الدين العيب أولاً، وأتى بعد ذلك بأداة استثناء (سوى) فسبق إلى وهم السامع عندها أن ابن نباتة سيذكر بعدها عيباً في ممدوحه، ولكن ما لبث أن ذكر بعد أداة الاستثناء صفة مدح أخرى أثبت فيها رفعة وعلو شأنه، ونلاحظ أنه استثنى من صفة ذم منفية صفة مدح.

وقول الشاعر أيضاً⁽³⁾:

[المقارب]

وَلَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى سُؤْدَدٍ تَكِيدُ الْفُهِومَ وَلَا يُحْصَرُ

وفي هذا البيت نفى العيب عن ممدوحه، وأتى بأداة الاستثناء (سوى) ليأتي بعدها بصفة مدح أخرى وهي السيادة التي لا يمكن حصرها، وهنا قد استثنى الشاعر من صفة ذم منفية صفة مدح أخرى.

وقوله⁽⁴⁾:

[الطويل]

(1) علي الجندي، صور البديع، ص 292.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 106.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 203.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 201.

وَمَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ يُعَدُّ لِنَاقِدٍ سِوَى أَنَّهُ بِالْجُودِ مُسْتَعْبِدُ الْخُرِّ

وفي هذا البيت نفى الشاعر صفة العيب عن ممدوحه، وأتى بأداة الاستثناء (سوى) ليأتي بعدها بصفة مدح أخرى تؤكد وتثبت جود علاء الدين وكرمه، فبجوده وكرمه يكاد أن يستعبد الحر.

رابعاً: الاقتباس:

هو مظهر من مظاهر التأثر، سواء كان من القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة، وقد كان الاقتباس من القرآن باستخدام ألفاظه، أو الإشارة إلى معنى آية قرآنية، أو قصة من قصصه، أو استخدام أسماء سورة⁽¹⁾.

وقال النابلسي رحمه الله عن الاقتباس: "نوع لا يقدر عليه من الشعراء إلا من له ملكة يتصرف بها كيف يشاء"⁽²⁾. وإن شاعرنا أثبت أنه تمتع بهذه الملكة من خلال اقتباساته من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بما يلائم نصوصه، وكان للاقتباس حظ وافر في شعر ابن نباتة. وظف شاعرنا من القرآن أسماء سورة مثل قوله⁽³⁾:

[الطويل]

وَالْحَرْبُ صَفٌّ مِنْ سَطُورٍ كَأَنَّهَا حَدِيدٌ يَسُوقُ النَّاكِثِينَ إِلَى الْحَشْرِ

استخدم في هذا البيت أسماء ثلاث سور متقاربة في موضعها من القرآن الكريم، وهي: سورة الصَّفِّ، وسورة الحديد، وسورة الحَشْرِ. وقوله⁽⁴⁾:

[السريع]

أَعِيدُ رِيمَ التَّزَكِّ بِالرُّومِ وَالصَّدْغُ مَعَ فِيهِ بِجَامِيمِ

(1) الصَّفدي، نصره التأثر على المثل السائر، ص329؛ وهنرييت الصايغ، اتجاهات الشعر العربي، ص419.

(2) عبد الغني النابلسي، نفحات الأزهار، ص239.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص201.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص455.

تعوذ الشاعر جمال محبوبته التركي بسورة الروم ليحفظها من كل مكروه، وعوذ صدغها بسورة حاميم.

واستخدم الشاعر غزوتي بدر وأحد، وأسماء بعض الأعلام منهم: أبو جهل⁽¹⁾، وأبو ذر الغفاري⁽²⁾، في قوله⁽³⁾:

[الطويل]

وَلَا حِثَّيْلٍ فِي مَلِيحٍ مُنْعٍ فَيَا لَكَ مِنْ أَحَدٍ لَدَيٍّ وَمِنْ بَذَرٍ
يُظِلُّ أَبَا جَهْلٍ عَلَى بَجْهِلِهِ وَأُمْسِي بِأَوْصَافِ السَّقَامِ أَبَا ذَرٍّ

وتأثر ابن نباتة بآيات القرآن الكريم، فاستمدَّ منها ألفاظاً وعبارات، فأدخلها بنصها الصريح، أو بتغيير طفيف لتتلاءم مع الوزن والشطر⁽⁴⁾. ومن اقتباساته قوله⁽⁵⁾:

[المقارب]

يَتِيمُ ابْتَسَامِكَ مَا يُقْهَرُ فَسَائِلُ دَمْعِي لَا يُنْهَرُ
وإنْسَانٌ عَيْنِي إِلَى كَمْ كَذَا بِحِينٍ مِنَ الدَّهْرِ لَا يُنْهَرُ

فاقتبس قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾⁽⁶⁾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾⁽⁷⁾، ووزعه الشاعر على بيتين من سورتين مختلفتين، وقد غير الشاعر في البنية التركيبية بالإضافة والحذف.

(1) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، كان يكنى أبا الحكم، وكان أعدى عدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقُتِل يوم بدر. ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، 360/1.

(2) هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن كنانة بن خزيمة، أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، أحد الذين جهروا بالإسلام في مكة قبل الهجرة النبوية. الطبراني، المعجم الكبير، 147/2.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 199.

(4) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 278.

(5) ابن نباتة، الديوان، ص 202.

(6) سورة الضحى، آية 8-9.

(7) سورة الإنسان، آية 1.

وقول الشاعر يمدح علاء الدين⁽¹⁾:

[الطويل]

إِذَا رَفَعْتَ قَدْرِي بِمَذْحِكَ لَيْلَةٍ تَيَقَّنَ قَصْدِي أَنَّهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
وَقَضَّيْتُهَا وَالنَّيَّارَاتُ تَمْدُنِي سَلَامًا وَتَسْلِيمًا إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ

وهنا اقتبس ابن نباتة قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾⁽³⁾ وزعه على بيتين من سورة واحدة، وقد غيّر الشاعر في البنية التركيبية بالإضافة والحذف. وقد اقتبس هذه الآية لأن ليلة القدر من الليالي التي يستجاب فيها الدعاء. وقول الشاعر⁽⁴⁾:

[المتقارب]

إِذَا صَاوَلْتُهُ سُيُوفُ الْعِدَى فَمَا ضَرَّهُ الشَّانِي الْأَبْتَرُ

الاقتباس قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾⁽⁵⁾، وقد غيّر الشاعر في بنية الجملة لتناسب وزنه. وقوله⁽⁶⁾:

[الكامل]

يَا أَيُّهَا اللَّوَامُ دِينُكُمْ لَكُمْ فِي الصَّبْرِ عَنْ لَيْلَى وَلِي أَنَا دِينِي
مُذْ فَاحٍ فِي لَيْلَى مُنْذَلٌ عِشْقِي أَنَا تَابِعٌ فِي الْحُبِّ لِلْمَجْنُونِ

⁽¹⁾ابن نباتة، الديوان، ص202.

⁽²⁾سورة القدر، آية 1.

⁽³⁾سورة القدر، آية 5.

⁽⁴⁾ابن نباتة، الديوان، ص204.

⁽⁵⁾سورة الكوثر، آية 3.

⁽⁶⁾ابن نباتة، الديوان، ص513.

هذه الأبيات قيلت في مدح علاء الدين بن فضل الله، ويقارن فيها بين حب المجنون لليلي وحبّه وتقديره لممدوحه، واقتبس قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾⁽¹⁾. وفي قصيدة أخرى قال⁽²⁾:

[الطويل]

أَمَّا وَمَلِيحِ الْعَصْرِ إِنَّكَ بِالْبَكَى وَبِالسُّهْدِ يَا إِنْسَانَ عَيْنِي لَفِي خُسْرِ

اقتبس قوله تعالى من سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾⁽³⁾، هذا البيت قيل في مدح علاء الدين، واستخدم الشاعر التورية ورمزه الخاص ليخرج النص بمعناه الجديد الذي يخدم نصه. وأشار ابن نباتة لبعض الشخصيات الدينية، والتاريخية في شعره ومن ذلك⁽⁴⁾:

[السريع]

فِي يَدِكَ الْبَيْضَاءُ يَوْمَ الْوَعَى يَلْتَقِمُ الْأَهْـوَالَ ثُغْبَانُـهُ
وَفِي النَّدَى يَا نُوحَ غَمْرُ الْغُلَى يَلْتَهُمُ الْأَمْـوَالَ طُوفَانُـهُ

الاقتباس وقع لشخصية سيدنا موسى عليه السلام، حيث أخذ الشاعر من الشخصية القرآنية اليد البيضاء، والثعبان، والشخصية الثانية هي سيدنا نوح -عليه السلام- وأخذ قصة الطوفان، ولكن الشاعر هنا أحدث المفارقة بين الثعبان الذي يلتقم الافاعي وثعبان علاء الدين الذي يلتقم الصعاب والأهوال، وطوفان الموت، وطوفان المكارم والعطاء والجود. وفي مدح يحيى بن فضل الله قال⁽⁵⁾:

[البسيط]

حَامِي حِمَى الْمُلْكِ بِالْأَقْلَامِ الْمَشْرَعَةِ عَلَى الْمُنَى وَالْمَنَايَا حَوْلَ وَادِيهِ
لَوْ أَلْقَيْتَ كَعَصَا مُوسَى عَلَى حَجَرٍ تَفَجَّرَ الْمَاءُ مِنْ أَقْصَى نَوَاحِيهِ

(1) الكافرون، آية 6.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 200.

(3) سورة العصر، آية 1-2.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 499.

(5) ابن نباتة، الديوان، ص 564.

جَاءَ بِإِخْيَ مَعَالِيهِ مُبَشَّرَةً فَصَدَّقَتْ يَدُهُ بِشَرِّ مَعَالِيهِ

استحضر ابن نباتة عصا سيدنا موسى -عليه السلام- مقارناً إياها بالأقلام، فأقلام الممدوح مشرعة كما الرماح. والحجر الذي تفجر منه الماء، والشاعر هنا يخاطب ممدوحه محيي الدين ويقول بأنه حامي حمى الملك القوي الشديد الكريم.

خامساً: التضمين:

هو نوع من أنواع البديع، وهو القصد إلى بيت من الشعر أو القسم أو المثل الشعبي والإتيان به في آخر الشعر أو أوسطه، سواء كان في بيت كامل أو نصف بيت أو حتى ربعة، ويكون ذلك بعد التمهيد له بروابط ملائمة لجعله ينسجم مع ما قبله وما بعده من أبيات القصيدة⁽¹⁾. وأحسن التضمين ما صرف البيت أو الشطر عن معناه الأصلي ليلتئم النص الجديد، ويجوز للشاعر أن يقلب صدر البيت عجزاً وعجزه صدرًا⁽²⁾.

وأكثر الشعراء في العصر المملوكي من استخدام التضمين في أشعارهم⁽³⁾، وما وجدناه في أشعار ابن نباتة من كثرة تضمين لأشعار أسلافه يدل على ثقافته الواسعة ودرايته بالشعراء ونتائجهم الواسعة. وقد الشاعر الكثير من الرموز الأدبية وكلمات وجملاً من شعر القدماء. مثل قوله⁽⁴⁾:

[الكامل]

تَخَذَ الْمَكَّارِمَ لَمَّا رَأَى لِلنَّاسِ فِيْمَا يَغْتَفُونَ مَذَاهِبَا

ضمّن الشاعر عجز بيت لأبي فراس الحمداني⁽⁵⁾:

[الطويل]

(1) ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، 720/2.

(2) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، 311/1.

(3) ابن منقذ، البديع في نقد الشعر، ص 249.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 27.

(5) أبو فراس الحمداني، الديوان، ص 35.

وَمِنْ مَذْهَبِي حُبُّ الدِّيَارِ لِأَهْلِهَا وَلِلنَّاسِ فِيْمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ

قد استدعى شاعرنا الشطر الثاني من بيت أبي فراس، ليؤكد حبه لممدوحه وأنه اتخذ حبه مذهباً في حياته، كما أحبَّ أبو فراس أهل الديار وكان له في حبه مذهب الخاص. فاستخدم ابن نباتة الشطر في غرض المديح، أما الشطر المنقول قيل في الغزل، وقد أجاد النقل، فصير الشطر وغير في معناه حتى يناسب غرض المديح.
وقال أيضاً⁽¹⁾:

[الرجز]

دُمْ يَا عَلَاءَ الدِّينِ وَضَّاحَ السَّنَا فِي أَفْقِ الْعَلِيَا وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ؟

استحضر الشاعر في الشطر الثاني قول عمر بن أبي ربيعة⁽²⁾:

[الرمل]

قَالَتْ الْكُبْرَى: أَتَعْرِفِينَ الْفَتَى قَالَتْ الْوُسْطَى: نَعَمْ، هَذَا عَمْرُ
قَالَتْ الصُّغْرَى: وَقَدْ تَيَمَّمْتُهَا قَدْ عَرَفْتَاهُ، وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ؟

استخدم الشاعر جملة وهل يخفى القمر؟ للدلالة على شهرة ممدوحه، فهو معروف بعطائه وكرمه، فاستحضر هذه الجملة واستخدمها بما يخدم نصح.

وقول الشاعر⁽³⁾:

[البسيط]

لَا يَخْشِي بَيْتَ قَلْبِي غَزْوَ لَأِيْمَةٍ فَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَوْفَ يَحْمِيهِ

ضمّن الشاعر في هذا البيت مقولة عبد المطلب: "أنا ربُّ الإبل، وللبيت ربُّ يحميه"⁽⁴⁾.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص231.

(2) عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص58.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص564.

(4) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن، 107/9.

ووظّف الشاعر كثيرًا من الأمثال الشعبية في نصه الجديد بما يخدم المعنى المطلوب، ومثال ذلك قول الشاعر⁽¹⁾:

[الكامل]

سُودَ الْغَدَائِرِ قَدْ تَعَقَّرِبُ بَعْضَهَا وَمِنْ الْأَقَارِبِ مَا يَكُونُ عَقَارِبَا

ضمّن الشاعر المثل الشعبي: (الأقارب عقارب)، ووظفها في نصه. واستحضر المثل الشعبي: (حدّث ولا حرج) في قوله⁽²⁾:

[البسيط]

حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ أَوْ دَمَعِي وَلَا حَرْجٌ وَأَنْقُلَ عَنِ النَّارِ أَوْ قَلْبِي وَلَا كَذِبًا

واستدعى الشاعر مقولة الحارث بن عباد عندما رفض دخول حرب البسوس، ووقعت الحرب بسبب ناقة البسوس، فقال الحارث: "هذه الحرب لا ناقة لي فيها ولا جمل"، وصارت هذه المقولة مثلاً بين العرب، في قوله⁽³⁾:

[البسيط]

مَالِي وَمَا لِلسَّرَى قَصْدًا لِغَيْرِكُمْ هَيْهَاتَ لَا نَأْقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي

ضمّن الشاعر مقولة الحارث بن عباد، ولكن ابن نباتة صيّر لها لتخدم نصه، فهو لا يريد أن يقصد غير آل فضل الله فهم عونه ومأمّنه.

سادساً: توظيف المصطلحات

1. مصطلحات الصّرف:

ففي الحديث عن التّكثير والتّعريف والتّصغير والتّكبير، قال⁽⁴⁾:

(1) ابن نباتة، الديوان، ص26.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص31.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص384.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص203.

[المتقارب]

إِذَا سَأَلُوا نَحْوَهُ عَرَّفُوا بِرَفْعٍ وَإِنْ تَرَكَوا نَكَّرُوا
فَمَا صَغُرُوا بِهِ كَبَّرُوا وَبِهِ كَبَّرُوا وَبِهِ صَغُرُوا

ووظف الاسم المنقوص وجمع التكسير في قوله⁽¹⁾:

[البسيط]

تَمَّوْا وَصَحُّوا بِأَبْوَابِ الْعَلَاءِ فَمَا فِي الْاسْمِ نَقْصٌ وَلَا فِي الْجَمْعِ تَكْسِيرٌ

2. المصطلحات العروضية:

وجّه ابن نباتة بأسماء الأوزان العروضية وتفعيلاتها في الإشارة إلى مقدرته على النظم على جميع الأوزان الخليلية مشيرًا إلى أنها تدر عليه الإنعام وليس لأوزانها⁽²⁾، فذكر البسيط، والرملي، ولفظ "مستفعلن فعل" وكأنه يعرض بغيره من الشعراء الذين يقصرون النظم على بحر واحد. يقول⁽³⁾:

[البسيط]

سَيَّارَةٌ فِي بَسِيطِ النَّظْمِ مُسْرِعَةٌ فَيَأْتِيهِ مِنْ بَسِيطِ جَاءٍ فِي رَمَلٍ
أَسْعَى عَلَى دُرَرِ الْمَغْنَى بِأَبْحَرِهَا وَسَعَى غَيْرِي فِي مُسْتَفْعِلُنْ فَعَلٍ

وذكر ثلاثة بحور معًا: البسيط والكامل والسريع في قوله⁽⁴⁾:

[الطويل]

بُحُورُ اللَّهِى وَالْعِلْمِ فِيهِمْ بَسِيطُهَا وَكَامِلُهَا مِنْهُمْ وَعَنْهُمْ سَرِيعُهَا

3. مصطلحات الحديث:

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 204.

(2) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 285.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 385.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 301.

تأثر شاعرنا بالحديث النبوي، ولا غرابة في ذلك فقد أجز من أشهر المحدثين سماعاً وحضوراً، فاستخدم مصطلحات الحديث، فتحدث كثيراً عن أصحاب المذاهب الأربعة في أماكن متعددة من شعره⁽¹⁾. مثل قوله⁽²⁾:

[الكامل]

يَا مُسْنِدِي النَّعْمَى الَّتِي قَدْ أَصْبَحَتْ سَنَدًا لِمَنْ يَشْكُو الزَّمَانَ وَمُسْنَدًا
أَحْسِنُ بِجَاهِكَ شَافِعِي يَا مَالِكَا أُرْوِي بِجُودِ يَدَيْهِ مُسْنَدَ أَحْمَدَا

اقتبس الشاعر في هذه الأبيات المذاهب الثلاثة، فذكر مالك بن أنس ، وأحمد بن حنبل وقدم عليهم الشافعي؛ لأنه على مذهبه. وقال⁽³⁾:

[الوافر]

بَيَّانُ جَوْهَرِيٍّ الْوَصْفِ تَرْوِي عَوَالِي الْحَرْبِ مِنْهُ عَنِ الصَّاحِ

ووظف شاعرنا في هذا البيت لفظ صحاح الجوهري، وقد استخدمها الشاعر بما يتناسب مع المعنى الذي يريد.

وقال يمدح علاء الدين بن فضل الله⁽⁴⁾:

[الكامل]

نِعَمَ الْمُجَدِّدُ فِي الْهُدَى أَقْلَامُهُ أَيَّامَ ذُو الْأَقْلَامِ يُدْعَى حَاطِبَا

(1) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 280.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 145.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 103.

(4) ابن نباتة، الديوان، ص 27.

اقتبس الشاعر قول رسول الله -عليه الصلاة والسلام-: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ سَنَةٍ مَنْ يَجْدِدُ لَهَا دِينَهَا"⁽¹⁾، فقد اتَّخَذَ ممدوحه الأخلاق والاستقامة مذهباً ونهجاً في حياته، وهو من المجددين، ووضَّح الشاعر مكانة الكتاب آنذاك.

⁽¹⁾ اسنن أبي داود، 349/4291.

المبحث الثالث: الخيال

هو الملكة التي من خلالها يؤلف الأديب صوره التي لا تأتي من الهواء، وإنما من إحساسات سابقة لا تحصر، يختزنها العقل حتى يحين الوقت، ويؤلف منها الصورة التي يريد⁽¹⁾.
ويعد الخيال عنصراً أساسياً من عناصر الأدب ومقوماته، وله دور كبير ملموس في الإبداع الشعري، وهو جوهر الأدب⁽²⁾. ولا بدّ للخيال أن يكون خالقاً، مبتكراً للصور، بعيداً عن المغالاة، أو المبالغة، التي من الممكن أن تمحو حاجز الحسّ، ورابط العقل⁽³⁾.
وقد امتلك ابن نباتة خيالاً خصباً، فصور الطبيعة بأجمل الصور، وحاكى ممدوحيه، ومن تغزل بهم بأجمل الصور وألطفها عبّرت عن حسن تأمله وسعة إدراكه.
والناظر إلى أشعار ابن نباتة يجد أنه قد أثر في المتلقي، وذلك من خلال القصيدة التي تحدث تأثيرها في خصائصها الخيالية⁽⁴⁾. ولشاعرنا أبيات كثيرة تشهد له بلطف التخيل وروعته دون مغالاة، فأخرج صوراً جميلة تكشف عن خيال واسع خصب دائم العطاء. ومن هذه الأبيات قوله⁽⁵⁾:

[الكامل]

تَغْفُو الرُّسُومُ مِنَ الدِّيَارِ وَمَا تَغْفُو رُسُومَ هَوَاكَ مِنْ قَلْبِي

في هذا البيت قال الشاعر إنه من الممكن أن تُمحي رسوم الديار، ولكن لا يمكن أن تُمحي آثار حبه لمحبيبته، فحبها مرسوم بقلبه كرسوم الديار وبقاء آثاره لا يمحوه شيء.
وقال⁽⁶⁾:

[الكامل]

بَيْنَ اللَّطَافَةِ وَالْجَزَالَةِ قَدْ فَاضَ الزَّلَالُ بِهِمَا مِنَ الْهَضَبِ

(1) أشوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص 167.

(2) طه عبد البر، الخيال وأثره في الإبداع الشعري، ص 69.

(3) أشوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص 173.

(4) عمر موسى باشا، أمير شعراء المشرق، ص 291.

(5) ابن نباتة، الديوان، ص 32.

(6) ابن نباتة، الديوان، ص 34.

بَيْنَمَا تَرَى كَالْقَضْبِ رَائِعَةً حَتَّى تَرَى كَوْشَائِعِ الْقَضْبِ

شبه الزلال في البيت الأول بالقضب الرائعة في صدر البيت الثاني، وشبهها أيضاً بوشائع القضب وهي خشبة يُلف عليها ألوان الغزل⁽¹⁾ في عجز البيت الثاني، فالمشبه واحد، بينما تعدد المشبه به.

وفي قصيدة أخرى قال⁽²⁾:

[الكامل]

يَا غَارِسًا مِنْي نَبَاتَ مَدَائِحِ مَنْ مِثْلِهِ يُجْنِي الثَّمَارَ غَرَائِبَا
إِنْ نَاسَبَتْ مَدْحِي مَعَالِيكَ الَّتِي شَرُفَتْ فَإِنَّ لِكُلِّ سُوقٍ جَالِبَا
أَهْدِي الْمَدِيحَ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَامِلًا لَكُمْ وَأَهْدِي لِلْوَرَى مُتْقَارِبَا

شبه شاعرنا في هذه الأبيات غرس المدائح بغرس النبات، وما يجنيه الزارع من النبات وما يجنيه الشاعر من غرسه لمدائحه، وبيع هذه الثمار في الأسواق ويأخذ منها الشاري ما يريده ويناسبه، وهكذا يهدي ابن نباتة المدائح التي تناسب ممدوحه ومعاليه، وأنه يقول الحقيقة الكاملة بلا زيادة ولا نقص.

وقال⁽³⁾:

[الطويل]

تَدَاوَيْتُ مِنَ الْحَاضِ بِرِضَابِهِ كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ

يقول الشاعر أنه يتداوى بعشق الحافظ محبوبته برضابها، فالعشق أسقمه ويتداوى به أيضاً، وشبه مداواته برضاب محبوبته بشارب الخمر الذي أمرضه ويتداوى منه به.

(1) ابن منظور، لسان العرب، 124/12.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 28.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 199.

وقد استقى ابن نباتة في أمداحه صوراً من مظاهر الطبيعة التي شاركته فرحته مدحه، فهذا قوله في علاء الدين بن فضل الله⁽¹⁾:

[الكامل]

ملأوا الثرى جوداً يزين ربيعته	والجوّ ذكراً تنجلي أضواؤه
فالجوّ تصدح بالمحامد عجمه	التّرب تنطق بالثّناء خرساؤه
من حول منزله الرّجاء محلّق	ومقصر حمد الفتى وثناؤه

تكشف الصّورة عن حبّ عميق للمدوح، وتأتي مظاهر الفرح لتعبّر عن هذا الحبّ، كيف لا وقد ملأ آل فضل الله الأرض كرمًا، وأخصبت الأرض، وبقيت خضراء يانعة أبد الدهر، وطبق الأرجاء النّور بهذا الفضل والسّخاء، لا بل أخذ الجوّ يصدح مشيداً بذكره العاطر، والتّراب ينطق شاكرًا فضله، وحلّق الرّجاء مثنيًا حامدًا لهم، وقد أجاد ابن نباتة الاعتذار في البيت الثالث في إشارته إلى أنّ حمده ما زال مقصرًا في وصفهم والثناء عليهم.

وقوله في إحدى قصائده⁽²⁾:

[الطويل]

وكاتب سر للملوك محجب	وما للندى عن زائريه حجاب
وذو القلم الماضي الثّنا فكأنما	له السيف من فرط المضاء قراب
تُخاف وتُرجى يا مسطر كتبه	كأنّك روض أو كأنّك غاب

فالشّاعر -هنا- يشخص النّدى إنسانًا يؤمّه النّاس غير أنّه دون ستر يحول بينه وبين الفُصاد، ويصوّر قلمه في الكتاب سيفًا مصلتا ينفذ في أحكامه التي خطّها بيده، وكأنما هو سيف بتار.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 11.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 29.

ومن أروع تصاويره في وصف القلم قوله⁽¹⁾:

[الطويل]

يَهْزُ ابن فضل الله بيض قواضب	إذا هزت في المهارق سوده
يؤازر رب الملك ربّ كتابة	كأنّ طروس الخطّ منها جنوده
ويجري بأمر الملك سود يراعه	فيما حبذا ساداتنا وعبيده
وشهم ولكنّ جنده في سطوره	وقاضٍ ولكنّ المعاني شهوده

تكشف اللوحة عن براعة الشاعر في التصوير من خلال التّركيز على صورة القلم الذي يكتب به شهاب الدين بن فضل الله العمري مصوّرًا إيّاه بالسيف القاطع، والمقاربة بين السيف والقلم واضحة، فأقلام الكتبة إمّا رماح أو سيوف من حيث الشّكل أوّلاً، ومن حيث الفعل ثانيًا، فكما أنّ السيف ويعمل في الرّقاب حدّه، فإنّ الكلمات التي يخطّها ابن فضل الله بقلمه قضاء مبرم هي الأخرى.

ويمضي الشاعر في التصوير عبر التّركيز على مكانة الممدوح، فهو اليد اليمنى للسّultan أو الملك، وغير أنّ جنود الأوّل هي سطور دفاتره التي يحشد فيها جيوشه من الكلمات التي تصطفّ واقفة على أهبة الاستعداد لتبعث إلى مختلف الأماكن تنفيذاً لما ورد فيها من أحكام، ولربّما كانت كلماتها تقضي بتحريك الجيوش وإعلان الحرب، وتأتي معانيها لتكون شاهدة على ما فيها من أفعال.

ويتكرّر أمثال هذه الصورة في أماكن كثيرة في الديوان، ومن ذلك قوله⁽²⁾:

[السريع]

رماح أيديهم وأقلامهم	أعماد ملوك أيّ أعماد
أما ترى يميني عليّ بما	خطّته رجوى كلّ مرتاد
سطور طورا ربّي زاهرا	وتارة أغيال آساد

(1) ابن نباتة، الديوان، ص 143.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص 146.

المبحث الرابع: الموسيقى

تعدّ الموسيقى عنصراً أساسياً من عناصر الشّعر، وقد عني النّقاد بها عناية كبيرة؛ فلها دور مهم في خلق الجو العام لأي قصيدة، ولتأثيرها الفعّال في جمال النّص وإخراجه بأحسن صورة، ويصبح محبباً وقريباً إلى النّفس التي دائماً ما تميل إلى ما يحرك مشاعرهما، وهذا لا يكون إلا بالموسيقى التي تشترك فيها الموسيقى الخارجيّة، والموسيقى الدّاخلية.

أولاً: الموسيقى الخارجيّة

تعتمد الموسيقى الخارجيّة في أي قصيدة على ركنين، هما:

1. الأوزان والبحور

يعدّ الوزن الشّعري أهم أركان القصيدة، وبدونه لا تقوم الموسيقى الخارجيّة، قام بترتيب قواعدها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد عُرِفَ الوزن قبل الخليل بزمانٍ بعيد، فالقصائد الجاهلية منظومة على موازين شعريّة⁽¹⁾. ويقوم الشّاعر باختيار البحر العروضي بناءً على الحالة النّفسية وانفعالاته وموضوع قصيدته. وقد استخدم الشّعراء بحوراً عديدة، وأكثر ما كان يستخدم من البحور الطّويل والبسيط والكمال؛ لأنها تستوعب ما لا تستوعبه البحور الأخرى من المعاني، وتتسع إلى العديد من الموضوعات مثل: الفخر، والمدح، واستخدموا بحوراً أخرى كالسرّيع والخفيف والوافر والمنسرح؛ لرشاقتها وخفّتها⁽²⁾. نظم ابن نباتة ديوانه على عدة بحور، وقد أجرت الباحثة إحصائية للبحور التي استخدمها مع عدد القصائد والمقطوعات التي قيلت في آل فضل الله العمري، ومرات استخدامه كلّ بحر، وجاءت كما يلي:

(1) محمد عبد المنعم خفاجي، "فن الشّعر" عروض الشّعر العربي وقوافيه، ص156.

(2) شهاب الدّين الحلبي، شعر شهاب الدّين محمود الحلبي، ص113-114؛ صفاء خلوصي، فن النّقطيع الشّعري والقافية، ص43-44.

النسبة المئوية	المجموع	عدد المقطوعات	عدد القصائد	البحر
%28.6	16	8	8	البسيط
%25	14	–	14	الطويل
%17.9	10	3	7	الكامل
%8.9	5	4	1	المنسرح
%7.1	4	–	4	السريع
%5.3	3	1	2	الوافر
%3.6	2	–	2	الخفيف
%1.8	1	–	1	المتقارب
%1.8	1	–	1	مخلّع البسيط
%100	56	16	40	مجموع القصائد والمقطوعات
%100	1694	98	1596	مجموع الأبيات

يوضح الجدول السابق البحور التي نظم ابن نباتة ديوانه عليها، وهي مرتبة تنازلياً من الأكثر استخداماً إلى الأقل، ومن خلال هذا الجدول نجد أن الشاعر اهتم باختيار البحور الشعرية المناسبة لجو شعره، فنظم أغلب قصائده من البحرين الطويل والبسيط، وهما من أكثر البحور طولاً، فيتسع البحر الطويل لكثير من المعاني، كالمدح، والفخر، والرتاء، والشكوى، وغيرها من المعاني، وكذلك بحر البسيط والذي يفوق الطويل رقةً وجزالةً، ويعدان بحري الفخامة والعذوبة، ويحتاجان إلى ثقافة لغوية وثروة من المعاني والأخيلة، والتي لا تتوفر في أي شاعر⁽¹⁾.

أما البحر الكامل والذي يقع في المرتبة الثالثة، معروف أنه من أكثر البحور جلبة وحركة، وفيه نوع من الموسيقى يجعله فخماً جليلاً، وهو يمثل اللين والرقّة والحلاوة والعذوبة⁽²⁾. يليه الكامل ثم المنسرح والسريع والوافر والخفيف والمتقارب.

ونلاحظ أنّ الشاعر لم ينظم على عددٍ من البحور، كالمجتث، والمقتضب، والمضارع، والهزج، والمديد، والرجز، والزمّل.

(1) علي الجندي، الشعراء وإنشاد الشعر، ص102.

(2) عبدالله المجذوب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، 264/1.

2. القوافي

هي الرّكن الثّاني من أركان الموسيقى الخارجيّة، وهي "من آخر حرفٍ في البيت إلى أوّل ساكنٍ يسبقه مع حركة الحرف الذي يسبق السّاكن"⁽¹⁾، والقافية غير الرّويّ ولكن هي مركّب من أحرفٍ وحركات. وللقافية دور مهم في تشكّل الموسيقى الخارجيّة؛ فغالبًا تشكّل نهايات الجمل الموسيقيّة⁽²⁾. أما حرف الرّويّ فهو أقلّ أحرف القافية التي يجب تكرارها، وهو آخر حرفٍ في البيت، وبه تعرف القصيدة بالبائيّة، أو اللاميّة أو غير ذلك. وأكثر الرّويّ شيوعًا: الباء والدّال والراء واللام والميم والنّون، يليها: الهمزة والنّاء والجيم والحاء والسّين والعين والفاء والقاف والكاف والياء، أما أقلّ الحروف فهي: الضّاد والطّاء والهاء، وأندرها: النّاء والحاء والدّال والرّاي والشّين والصّاد والضّاء والغين والواو⁽³⁾.

استخدم ابن نباتة أحرف الرّويّ الأكثر شيوعًا والأقل والأندر، وقد وضعت جدولًا يحصي عدد مرات استخدام كلّ رويّ:

القافية	عدد مرّات الاستخدام	النسبة المئويّة
الراء	10	16,44%
الباء	7	12,5%
الدّال	7	12,51%
الحاء	5	8,73%
اللام	5	8,73%
النّون	4	8,90%
الميم	3	5,36%
الألف	3	5,36%
الياء	3	5,36%
الضّاد	1	1,79%
النّاء	1	1,79%
الجيم	1	1,79%
الفاء	1	1,79%

⁽¹⁾ينظر: صفاء خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية، ص214.

⁽²⁾ينظر: ابن جني، العروض ومختصر القوافي، ص218.

⁽³⁾ينظر: صفاء خلوصي، فن التقطيع والقافية، ص213-216.

الزاي	1	1,79%
الكاف	1	1,79%
الهاء	1	1,79%
الهمزة	1	1,79%
العين	1	1,79%
مجموع القصائد والمقطوعات	56	100%

لجأ ابن نباتة إلى عددٍ من الأحرف الشائعة: كالزَّاء والدَّال واللام والميم والنون والباء والعين والياء، والأقل شيوعاً: كالضَّاد والهاء، والأندر: كالثَّاء والزَّاي. وربما استخدم أحرف الرُّويِّ النادرة ليظهر شاعريته؛ ويعود ذلك إلى طبيعة شعراء ذلك العصر فكانوا يلتفتون إلى الصنعة وإظهار الشاعرية. اختار ابن نباتة أحرف الرُّويِّ التي تناسب موضوع قصائده؛ فأكثر من استخدام الزَّاء والباء والدَّال واللام والميم، وهي من الحروف الطَّنانة التي تصلح في المديح، واستخدم حرف النون الدَّال على الأنين والتوجع فهو صالح للشكوى، ويصلح للقصائد الطويلة، واستخدم حروف الرُّوي النادرة كالحاء والثَّاء ربما ليظهر براعته وشاعريته.

ومما يذكر في سياق الموسيقى الخارجية التَّصريح، ويكثر في البيت الأول من القصيدة، وقد يقع في غيره من الأبيات⁽¹⁾، وهو أن يتوافق الشَّطران في البيت الواحد قافيةً وروياً⁽²⁾.

وقد جاءت (43) منظومة من قصائده ومقطوعاته مصرعة، ومثاله على رويِّ الباء قول الشاعر يمدح علاء الدين⁽³⁾:

[الطويل]

لِسَائِلِ دَمْعِي مِنْ هَوَاكَ جَوَابُ فَمَا ضَرَّ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْكَ ثَوَابُ

(1) ينظر: صفاء خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية، ص 225.

(2) ينظر: محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، 1/256.

(3) ابن نباتة، الديوان، ص 28.

وفي رويّ الحاء قال مجيباً على قصيدة خائية كتبها إليه القاضي شهاب الدين⁽¹⁾:

[السريع]

مَا الْبَرْقُ فِي كَانُونِهِ قَدْ قَدَحَ وَالْغَيْمُ فِي كَفِّ الثُّرَيَّا قَدَحَ

وقد جاءت أغلب قصائده مطلقة انتهت بروي متحرك، وقليل منها مقيدة انتهت بساكن، وأشبع حركات بعض رويّه بالألف: كالذال والراء والميم والياء. ومنه قوله⁽²⁾:

[الكامل]

قَمَرًا نَرَاهُ أَمْ مَلِيحًا أَمْ رَدَا وَلِحَاطُوهُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ أَمْ رَدَى
مِنْ آلِ بَذْرِ طُلْعَةٍ أَوْ نِسْبَةٍ وَالرَّفَمَتَيْنِ سَوَالِفًا أَوْ مَوْلِدَا
أَهْلًا لِمَنْطِقِهِ الْبَدِيعِ مُعَرَّبَا وَلِسَيْفٍ نَاطِرِهِ الْكَحِيلِ مُهَيَّدَا

ثانياً: الموسيقى الدّاخلية

تشمل الموسيقى الدّاخلية اختيار الشاعر لحروفه وألفاظه وصوره وأخيلته لتكوّن التناغم الموسيقي في القصيدة ونلمس لدى ابن نباتة ذوقاً وحساً فنياً في اختيار ألفاظه ، ومما يساعد على إبراز النغم الموسيقي عند شاعرنا استخدام المحسنات البديعية في شعره وسأخص التقسيم لما له أثر واضح في إبراز جمال الموسيقى الدّاخلية.

التقسيم:

"هو استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، بحيث لا يغادر منه شيئاً"⁽³⁾. وحسن التقسيم يكمن في اشتماله على كل أقسام المعنى، أو كل أحواله، وأن يكون لكل قسم من أقسامه معنى مستقل، وأي خلل في هذين الأمرين ينقص من قيمته⁽⁴⁾.

(1) ابن نباتة، الديوان، ص104.

(2) ابن نباتة، الديوان، ص144.

(3) ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص 70.

(4) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص342-344.

واستخدم ابن نباتة هذا الفن في شعره مثال ذلك قوله⁽¹⁾:

[البسيط]

لَيْشْكُرَنَّكَ مِنِّْي الدَّهْرُ أَرْبَعَةً: نَفْسٌ وَرُوحٌ وَلَحْمٌ نَابِتٌ وَدَمٌ

قسّم الشاعر أغلى الأشياء التي يمكن أن يقدمها لممدوحه، وهي أربعة لا خامس لها في قيمتها، وهي: النفس، والروح، واللحم، والدم.
وقال أيضاً⁽²⁾:

[البسيط]

لَا زَالَ بَابُكَ مَخْدُومًا بِأَرْبَعَةٍ: يُمْنٌ وَنَجْحٌ وَمُخْتَارٌ وَإِقْبَالٌ

قسم الشاعر من يخدم ممدوحه إلى أربعة أقسام لا خامس لها، وهي: اليمن، والنجح، والمختار، والإقبال.

⁽¹⁾ابن نباتة، الديوان، ص 441.

⁽²⁾ابن نباتة، الديوان، ص 387.

الخاتمة

هذا البحث (صورة آل فضل الله العمري في ديوان ابن نباتة المصري 768هـ؛ دراسة موضوعية وفنية) يقدّم شيئاً يسيراً من نتاج شاعرنا، وهذا النتاج لا يستهان به فقد كان في قصائده متمكناً مميزاً قادراً على جلب المستمعين. وبعد الفراغ من الدراسة خلصت إلى بعض النتائج والتوصيات.

أولاً- النتائج:

1. ابن نباتة المصريّ شاعر مصريّ مملوكي، أمير شعراء المشرق، وشعره في الذروة، بشهادة كثير من علماء عصره، ونماذجه الشعريّة في مدح آل فضل الله تستحق أن تُدرّس لطلبة العلم المتخصصين وغيرهم.
2. كان الشّاعر واسع الاطلاع على التراث الأدبي والسياسي والديني، ويظهر ذلك من خلال شعره، فألفاظه مستوحاة من لغة شعراء السلف، وكذلك صوره وأخيلته وموسيقاه، وتضميناته في قصائده تدل على تعمقه في القديم وهضمه لنراه مجدداً ولكن بطريقة مبتكرة لم نألفها في ثوبه القديم، واقتباساته الحرفيّة من القرآن الكريم، بالإضافة إلى أساليبه الأدبية التي أثرت نصّه الشعري، وظهرت علاقاته السياسية مع ذوي السّلطة والشأن ومخالطته إيّاهم على المستويين السياسي والاجتماعي.
3. يظهر من خلال سيرة ابن نباتة ومن شعره أنه تلقّى تعليمًا جيّداً، وقد نظم الشعر وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهذا يدل على نشأته في أسرة ذات علم وجاه، وربما كان لعائلته أثر كبير في هذين الجانبين.
4. لا يجوز الحكم المسبق على حقبة تاريخية بأكملها، تلك الأحكام المبنية على أوهام أشاعها أعداء الإسلام التي لا تمت للحقيقة بصلة، فمن الظلم أن تتساوى قدرات الشعراء والأدباء والعلماء والفقهاء وتطلق أحكام تشملهم على السواء بنظر النقاد، فوصف العصر المملوكي بأنه عصر الانحطاط والانحدار لا أساس له من الصحة وهو حكم ظالم، ومثال ذلك شاعرنا ابن نباتة المصريّ وممدوحيه من آل فضل الله العمريّ فهم من هذا العصر ولكن لهم مكانتهم الأدبية والسياسية والتاريخية، فالدّفاع عن هذا الشعر بصدق ودراسته يعيد له مكانته الحقيقية التي يجب أن يحتلها في قلوب الأغيار على تراث أدبنا.

5. لا يملك ابن نباتة إلا شعره، وحظي من خلاله لاسيما المديح برعاية السلاطين والحكام وأصحاب المناصب العليا في الدولة، ووصل أعلى المراتب السياسية.
6. حشد الشاعر كمًا هائلًا من ألوان البديع، وقد جاء ذلك ملائمًا لمعانيه دون تكلف، وقد حضر البديع بوضوح في شعره، وتتطلب هذه المحسنات في كثير من الأحيان إلى ثقافة واسعة وقدرة كبيرة على الإتيان بألفاظ تخدم معانيه، كالتورية والطباق والجناس وغيرها من المحسنات البديعية.

ثانيًا_ التوصيات:

1. يجب الدفاع عن هذا الشعر المظلوم وإنصافه؛ لتعود له مكانته الحقيقية بين التراث الأدبي، فتوصي الباحثة بالعودة إلى هذا التراث ودراسته دراسة موضوعية بعيدة عن الأحكام المسبقة، فما زال كثير منه على رفوف المكتبات لا يعرف عنه أحد.
2. أن يُجعل لشعر ابن نباتة نصيب في مجالس العلم من مدارس وجامعات، لما يحمله من دروس أدبية.

الفهارس الفنية

1. فهرس الآيات القرآنية.
2. فهرس أطراف الحديث.
3. فهرس ألفبائي لمطالع القصائد والمقاطع.
4. فهرس الأعلام.
5. فهرس البلدان والأماكن.
6. فهرس المصادر والمراجع.
7. فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	السورة
102	﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾	الإنسان 1/76
102	﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾	الضحى 9-8 / 93
102	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾	القدر 1/97
102	﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾	القدر 5/97
103	﴿ وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾	العصر 1-2 / 103
102	﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾	الكوثر 3/108
103	﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾	الكافرون 2/109

فهرس أطراف الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
109 ، 73	إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يبعثُ لهذه الأمة على رأسِ كلِّ سنةٍ من يجدد لها دينها

فهرس ألفبائي لمطالع القصائد والمقطعات

الصفحة	عدد الأبيات	الوزن	القافية
قافية الباء			
4	3	المنسرح	يكفي السعيدَ الحراكَ والنَّصبة
31	2	البسيط	ولا تغنَّت به ورقاؤه طربا
18	2	الوافر	عليه شامة شرط المحبة
40 ، 24	3	الكامل	إلّفي القديم وشعبكم شعبي
27	2	الكامل	لا مثل دهري في دمشق محاربا
42	4	الكامل	ومطالع الشرف المؤيد راتبا
43	3	الطويل	كأنك روض أو كأنك غاب
62	2	الطويل	غصون بأوطان الملوك رطاب
109 ، 73	4	الكامل	وأعز منتصرا وأمنع جانبا
72	2	الكامل	أيام ذو الأقاليم يدعى حاطبا
83	2	الكامل	من غير ما غزل وغير نسيب
91	1	الطويل	محاسن منها خيله وشباب
93	1	الكامل	جفني المسهد سايكا أم ساكبا
94	1	الكامل	في السلم أو في الحرب يغدو كاتبا
95	1	البسيط	فما تراه عادة المدح مضطربا
97	1	الكامل	وعلت ذوابتها على الضبي
97	1	الكامل	زيد النحاة به لعمرو ضاربا
105	1	الطويل	وللناس فيما يغشون مذاهب
106	1	الكامل	ومن الأقارب ما يكون عقاربا
106	1	البسيط	وانقل عن النار أو قلبي ولا كذبا
110	1	الكامل	تغفو رسوم هواك من قلبي
110	2	الكامل	فاض الزلال بها من الهضب
111	3	الكامل	من مثله يجني الثمار غرائبا
117	1	الطويل	فما ضر أن لو كان منك ثواب
قافية التاء			
27	2	الوافر	بال نباتة الغر السراة
43	6	الطويل	تقر لها هذي التحوم المواكث
77	2	الوافر	بال نباتة الغر السراة

الصفحة	عدد الأبيات	الوزن	القافية
قافية الحاء			
21	4	الطويل	على القدح في الدنيا على أثر القدح
25	2	الوافر	وجُدت برغم أيام شحاح
26	1	الوافر	أطاف به على لجج فساح
39	6	الوافر	على وفق احتياجي واحتياحي
60	5	البسيط	بوابل في الوغى والسلم سحاح
69	6	السريع	مارجها كافور تلج نضج
70	1	الوافر	أطاف به على لجج فساح
73	1	البسيط	من سادة في صميم العرب أمحاح
83	5	البسيط	يا ساجي الطرف أو يا ساقى الزاح
84	4	الخفيف	لا تلمني على شقيقة روجي
85	5	الوافر	مخافة أن تطير من الجماح
85	6	الوافر	فخالطه بشيء من مزاح
93	1	البسيط	دارك ضرورة محتاج ومحتاج
95	1	البسيط	فأنعم الله إمسائي وإصباحي
99	1	البسيط	بمعرب البر نطق اللاجن اللاجي
108	1	الوافر	عوالي الحرب منه عن الصحاح
118	1	السريع	والغيم في كف الثريا قدح
قافية الدال			
5	2	الطويل	أتى من كتاب فضل ليس يجحد
26	2	الطويل	إذا اعتبرت ألفاظه وسعوده
52	3	السريع	يحدو بها من مدحه حاد
59	6	الكامل	أفقي فقل نجم السما رجم العدى
65	3	الطويل	قديم فخار لا يشاب جديده
71	2	الطويل	إذا اعتبرت ألفاظه وسعوده
90	1	السريع	يا فتنة الحاضر والبادي
118، 91	1	الكامل	ولحاظه بين الجوانح أم ردى
92	1	الكامل	سحب الندى من قبل ما سمع النداء
93	1	الكامل	للمجتلي والمجتني والمجتدي
97	1	الكامل	خبر الشا إلا وأنت المبتدا
108	2	الكامل	سندا لمن يشكو الزمان ومُسندا
قافية الزاء			
5	3	الطويل	على كل مصر طاعة البر والبحر

الصفحة	عدد الأبيات	الوزن	القافية
5	1	الطويل	فمدح على مدح وشكر على شكر
7	4	الوافر	تغوص به القلائد في النحور
9	3	الوافر	كما تبع الزلال من الصخور
16	2	الخفيف	وهذي أواخر الأشعار
23	2	الطويل	وإن سجايك الكريمة زهره
24	1	الطويل	هي الذخر لابيض الثراء وصفه
25	3	الطويل	مقابلة لاقى بها القلب جبره
27	3	الطويل	تيقن قصدي أنها ليلة القدر
28	3	الطويل	تعودت من نعماك عاطفة الجبر
44	5	الطويل	فعد ابن فضل الله فاتحة الذكر
45	9	المتقارب	وبعض معالي الوري تُقبر
46	3	البسيط	عني وأعمده بالشام منشورا
53	7	الطويل	يُحقق أن الصدر والكف من بحر
54	3	المتقارب	وأجزك من ذا وذا أكبر
64	2	الطويل	وأفناؤهم في الخلق فواحة الزهر
67	7	الطويل	ويعزى به عيش الملوك إلى النضر
67	6	البسيط	سجعتة فإذا الريحان منثور
73	12	البسيط	بروق بشر وراها القطر مقطور
86	2	البسيط	وإن سعيك عند الله مشكور
88	2	المنسرح	يا ابن السراة الأكابر البررة
96	1	الطويل	فمن حسد تمشي ومن أدمع تجري
97	1	الطويل	وما خلث أن النون من أحرف الجر
97	1	البسيط	إعمالها السير مرفوع ومجرور
97	1	الطويل	إذا ما التقى في الحب نصبي وكسره
107	2	المتقارب	برفع وإن تركوا نكروا
107	1	البسيط	في الاسم نقص ولا في الجمع تكسير
99	1	المتقارب	تكذ الفهوم ولا يحصر
100	1	الطويل	سوى أنه بالجود مستعبد الحر
100	1	الطويل	حديد يسوق الناكثين إلى الحشر
101	2	الطويل	فيا لك من أحد لدي ومن بدر
101	2	المتقارب	فسائل دمع لا ينهر
102	2	الطويل	تيقن قصدي أنها ليلة القدر
102	1	المتقارب	فما ضره الشائئ الأبتز

الصفحة	عدد الأبيات	الوزن	القافية
103	1	الطويل	وَبِالسُّهْدِ يَا إِنْسَانَ عَيْنِي لَفِي خُسْرٍ
105	1	الرجز	فِي أَفْقِ الْعُلْيَا وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ؟
105	2	الرمل	قَالَتْ الْوُسْطَى: نَعَمْ، هَذَا عُمَرُ
111	1	الطويل	كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ
قافية الزاي			
56	4	البسيط	حَاشَا جَوَادَ عَطَاهُ ذِكْرَ مِهْمَازٍ
قافية السين			
31	2	الكامل	مَنْ بَعْدَ ذَاكَ الْقَرِيبِ وَالْإِنْسَانِ
31	2	الكامل	تَشْكُو لَهِيئًا مِنْ لَظَى أَنْفَاسِي
46	5	المنسرح	عَلَيَّ قَاضِي النَّوَالِ وَالْبَاسِ
81	1	الكامل	أَوْدَى بِمَحْضَرِ حَالِهِ الْإِفْلَاسُ
قافية الشين			
9	4	الكامل	فَأَعَادَنِي وَالْحَالُ أَوْفَقُ مَا أَشَأْ
قافية الصاد			
50	7	الخفيف	مَشْرِقًا فِي تَأَلَّقٍ وَبِيَاضٍ
قافية الضاد			
75	1	الخفيف	لِ مَنْسِيٍّ فَضِيلَهَا ابْنُ عِيَّاضٍ
98	1	الخفيف	فَأَغْنِي بِجَازِمِ الْفِعْلِ مَاضِي
98	1	الخفيف	ذَاتَ رَفْعٍ وَإِنْ أَتَتْ فِي انْخِفَاضٍ
قافية العين			
108	1	الطويل	وَكَامِلُهَا مِنْهُمْ وَعَنْهُمْ سَرِيعُهَا
قافية الفاء			
55	3	البسيط	صَدْرُ النَّدَى وَلِلْأَلَاءِ تَوْطِيفُ
55	7	السريع	أَغْنَى رَجَا الْوَفْدِ كَفَّهُ
68	4	البسيط	فَضْلٌ وَفَضْلٌ وَتَعْرِيفٌ وَمَعْرُوفٌ
94	1	البسيط	فَلِلْمَحَامِدِ تَجْنِيسٌ وَتَصْنِيفُ
قافية الكاف			
22	4	الطويل	عَلَى عَيْشِنَا بِالْذِيلِ فِي فَلَكَ الْفَلَكَ
81	1	الطويل	وَمِنْ أَسْوَدٍ فِي أَبْيَضٍ عِلْمُ الرُّنْكَ
قافية اللام			
6	2	الكامل	ظَمِ الرِّصِينِ لِفَاضِلٍ أَوْ مَفْضَلِ
19	2	الهج	وَهَذَا يَا أَخِي الْحَالُ
38	12	البسيط	يَدَ الرَّجَا رَمَاهَا اللَّهُ بِالشَّلَلِ

الصفحة	عدد الأبيات	الوزن	القافية
47	11	البسيط	إن قالوا أو مصابيح وأبطال
99، 48	6	البسيط	وقد أغاثَ جماها نجل إبدال
48	5	البسيط	تقسّم الشعر في مدح وفي غزل
56	2	البسيط	جود علاء الدين بالمال
56	5	البسيط	نثر الدنانير فينا عند إقلال
62	2	البسيط	وجمعهم لفخار القول والعمل
82	1	الطويل	لما نسجتها من جنوب وشمأل
82	8	البسيط	لا أرغم الله إلا أنف عذالي
91	1	البسيط	ملذذاً بتعاطيها وسل سالي
96	1	البسيط	يا ابنة العم أو يا ربة الخال
98	1	البسيط	فما تميل أوانيهم إلى بدل
107	2	البسيط	فيا له من بسيط جاء في رمل
106	1	البسيط	هيهات لا ناقتي فيها ولا جملي
119	1	البسيط	يمن ونجح ومختار وإقبال
قافية الميم			
3	3	الوافر	طوال السمر في حرب وسلم
23	4	البسيط	والماضيان: سنان الرأي والقلم
53	7	البسيط	لأنقل بها عن عزم همّام
57	6	السريع	ذي كرم يلفي وتكريم
62	4	السريع	فرائد الفضل لتنظيم
64	4	البسيط	فضل وفصل وتقديم وإقدام
68	7	البسيط	قول المدائح فيه ذات إحكام
75	2	البسيط	براكم الله تأييداً لإسلام
86	3	البسيط	إلى حمى مصر أشكو جفوة الشام
101	1	السريع	والصدغ مع فيه بحاميم
119	1	البسيط	نفس وروح ولحم نابت ودّم
قافية النون			
18	2	الوافر	مليء الحسن حالي الوجنتين
41	6	الطويل	فهم في سماء العزّ والرأي شهبان
49	4	الكامل	علوية تلو على التحسين
49	2	البسيط	مع العلو على السادات رجحان
57	2	الكامل	لا مانع الجدوى ولا الماعون

الصفحة	عدد الأبيات	الوزن	القافية
58	3	الوافر	وَكَمْ أَجْدِي وَكَمْ أَسْدَى إِلَيْنَا
60	7	الكامل	فَقُلْ فِي سَحَابِ الْجُودِ تُرْجِيهِ سُحْبَانِ
63	2	السريع	تَفْتَنُ الْفَضْلَ وَأَفْنَانِهِ
87	2	الوافر	وَعَوْنًا إِنْ أَقْمَنَا أَوْ نَأَيْنَا
103	2	الكامل	فِي الصَّبْرِ عَنْ لَيْلَى وَلِي أَنَا دِينِي
103	2	السريع	يَلْتَقِمُ الْأَهْوَالَ ثُعْبَانُهُ
قافية الهاء			
40	2	الطويل	إِذَا عَدَدْتَ أَفْعَالَهَا وَانْتَسَابَهَا
70	4	الطويل	كَمَا نَضَّ عَنْ عَبَقِ الرِّيَاضِ صَنِيعَهَا
92	1	الطويل	وَطَابَتْ مَجَانِيهَا وَطَالَتْ فُرُوعُهَا
94	1	الطويل	فَحَسْنُكَ يَشْرِيهَا وَجَفَنِي يَبِيعُهَا
قافية الياء			
1	3	الطويل	وَقَدْ غَبَطُوا إِحْسَانَهُ وَلِسَانِيَا
14	2	مجزوء الكامل	وَطَمْتُ فَأَكْمَدْتُ الْأَعَادِي
104، 51، 21	4	البسيط	عَلَى الْمُنَى وَالْمَنَايَا حَوْلَ وَادِيهِ
63	1	الطويل	إِلَى عُمْرِي الْمُنْتَمِي عَدَوِيهِ
75	8	البسيط	ضَاهَى السَّمَاءِ وَيَحْيَى لَا يَضَاهِيهِ
106	1	البسيط	فَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَوْفَ يَحْمِيهِ
قافية الهمزة			
3	3	البسيط	مَسْنَتُهُ فِي حَالَتِهِ أَلْفُ سَرَاءٍ
6	5	الخفيف	دُرْ إِلَّا عَنْ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءُ
81	2	الرمل	وَشِمَالِي وَأَمَامِي وَوَرَائِي
قافية الواو المهموزة			
61	2	الكامل	وَحَمَاهُ عَنْ تَسَالٍ مِنْ لَأْلَاؤُهُ
61	3	الكامل	شَهِدْتُ بِفَضْلِ مَكَانِهَا أَعْدَاؤُهُ
72	2	الكامل	مَنْ قَبْلَ مَا نَوَتْ الْإِرَادَةَ رَأُوهُ

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم
17	إبراهيم المعمار
35	ابن العماد
45	ابن الفرات
34	ابن الوردي
33	ابن تيمية
34	ابن حبيب
87	ابن حجة
47	ابن خلال
52	ابن عبّاد
87	ابن عبد الظاهر
34	ابن كثير
80	ابن مقاتل
33	أبي حيّان
45	إسكندر
29	الأشرف خليل
33	الأصفهاني
17	بدر الدين حسن الزغاري
17	برهان الدين القبراطي
9	بهاء الدين السبكي
13	بهاء الدين بن النحاس
8	تاج الدين أحمد بن الأثير
9	تاج الدين السبكي
97	ثعلب
29	حسام الدين لاجين
33	الزملكاني
13	سراج الدين عمر الوراق
6	شرف الدين الأنصاري
8	شرف الدين محمد بن الأثير
13	شمس الدين صاحب
33	شمس الدين الصّائغ

الصفحة	اسم العلم
8	شمس الدين بن الأثير
13	شهاب الدين أحمد المعروف بابن المفسر
33	شهاب الدين الدزاري
3	الشهاب محمود الحلبي
33	الشيخ ذؤيب الشهبي
17	صلاح الدين الصفدي
96	الضبي
13	عبد الرحيم الدميري
32	علم الدين بن القطب
13	الفخر بن البخاري
8	القاضي تقي الدين
35	القلقشندي
13	محيي الدين بن نشوان
30	المظفر
30	الملك الصالح إسماعيل
30	الناصر حسن
4	الناصر محمد بن قلاوون
32	الناصر محمد بن قلاوون
13	نصير الدين المناوي الحمامي

فهرس البلدان والأماكن

الصفحة	المكان
13	ميفارقين
60	ثهلان

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر

القرآن الكريم.

1. الأبشيهي، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد (ت850هـ): المستطرف في كل فن مستظرف. تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002م.
2. ابن الأثير الجزري، عز الدين علي بن محمد بن أبي المكارم (ت630هـ): الكامل في التاريخ. تحقيق: أبو الفداء عبدالله القاضي، بيروت، 1971م.
3. ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد (ت654هـ): تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تحقيق: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963م.
4. الأندلسي، ابن سعيد علي بن موسى (ت685هـ): نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب. تحقيق: نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، 1998م.
5. ابن إياس، محمد بن أحمد (ت930هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1982م.
6. امرؤ القيس بن حجر، الديوان. تحقيق وشرح: حنا الفاخوري، ط1، دار الجبل، بيروت، 1989م.
7. البوصيري، محمد بن سعيد (ت696هـ): الديوان. تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط2، القاهرة، 1973م.
8. ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت874هـ): النجوم الزاهرة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، (1-6).
9. الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت255هـ): البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (1-4).
10. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير (ت833هـ): غاية النهاية في طبقات القراء. القاهرة، 1978م.
11. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت392هـ): كتاب العروض ومختصر القوافي. تحقيق: فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003م.

12. ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت779هـ): **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**. تحقيق: محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1976م.
13. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت852هـ): **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة والذيل عليها**. تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997م.
14. الحلبي، شهاب الدين محمود، **شعر شهادة الدين محمود الحلبي**. ط1، جمع ودراسة وتحقيق: عادل كتاب العزاوي، دار الفراهيدي، بغداد، 2013م.
15. الحلبي، صفي الدين أبو الفضل عبد العزيز بن سرايا الطائي (ت750هـ)، **الديوان**. بيروت للطباعة والنشر، ط1، 1983م.
16. الحموي، ابن حجة تقي الدين أبو بكر علي (ت737هـ): **خزانة الأدب وغاية الأرب**. تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، ط2، بيروت، 1991م.
17. الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت626هـ): **معجم البلدان**. تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت.
18. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ): **سير أعلام النبلاء**. تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ط1، بيروت، 1997م.
19. ابن رشيقي، أبو علي الحسن (ت463هـ): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط4، بيروت، 1972م.
20. الزبيدي، مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**. دار الفكر للطباعة والنشر.
21. الزركلي، خير الدين (ت1976م): **الأعلام**. دار العلم للملايين، ط14، بيروت، 1999م.
22. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت275هـ): **سنن أبي داود**. تحقيق: محمد محيي الدين الخالدي، المكتبة العلمية، بيروت، 1997م.
23. السلامي، أبو المعالي تقي الدين محمد بن رافع (ت774هـ): **الوفيات**. تحقيق: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1982م.
24. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت911هـ): **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**. تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997م.
25. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت1393هـ): **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. دار الكتب، 1996م.

26. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت764هـ):
 أ) **أعيان العصر وأعوان النصر**. تحقيق: فالح أحمد البكور، دار الفكر، ط1، بيروت، 1998م.
- ب) **الوافي بالوفيات**. تحقيق: محمد الحجيري، ط2، دار الفكر، بيروت.
27. الطبراني، سليمان بن أحمد (ت320هـ): **المعجم الكبير**. ضبط نصه وخرج أحاديثه: أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
28. العسكري، أبو الهلال حسن بن عبد الله بن سهل (ت395هـ): **كتاب الصناعتين**. تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطابع عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط2، القاهرة، 1971م.
29. ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت1089هـ): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. دار الآفاق الجديدة، بيروت، (1-8)، 1989م.
30. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت749هـ):
 أ) **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
- ب) **التعريف بالمصطلح الشريف**. تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب، بيروت، 1997م.
31. أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد (ت357هـ): **الديوان**. تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، ط5، بيروت، 2003م.
32. القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت739هـ): **الإيضاح في علوم البلاغة**. تحقيق: رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 2000م.
33. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.
34. الكتبي، محمد بن شاعر (ت764هـ): **فوات الوفيات**. تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1974م.
35. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر (ت774هـ): **البداية والنهاية**. مكتبة المعارف، ط1، بيروت، 1966م.
36. المتنبّي، أحمد بن الحسين (ت354هـ)، **الديوان**. بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983م.

37. المجذوب، عبدالله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. مطبعة البابي الحلبي، ط1، القاهرة، 1955م.
38. مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط. دار الدعوة، القاهرة.
39. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ): لسان العرب. دار صادر، ط3، بيروت، 1994م.
40. ابن منقذ، أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي (ت584هـ): البديع في نقد الشعر. تحقيق: أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، 1998م.
41. النابلسي، عبد الغني (ت1140هـ—): نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار. عالم الكتب، ط3، بيروت، 1984م.
42. ابن نباتة المصري، الديوان. ط1، مطبعة التمدن بعابدين، 1950م.
43. أبو نواس، الحسن بن هانئ (ت198هـ): الديوان. تحقيق: إيفالد فاغنر، الشركة المتحدة للتوزيع، ط2، برلين-بيروت، 2003م.

المراجع

1. الأيوبي، ياسين، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي. جروس برس، ط1، طرابلس، 1995م.
2. باشا، عمر موسى، ابن نباتة المصري (أمير شعراء المشرق). ط3، دار المعارف، القاهرة، 1960م.
3. التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب. ط2، بيروت، دار الكتب، 1999م.
4. الجندي، علي، الشعراء وإنشاد الشعر. دار لمعارف، مصر، 1969م.
5. حقي، حمد بن إبراهيم، كنز الأنساب ومجمع الآداب. الدار الوطنية السعودية، الرياض، ط4، 1967م.
6. خفاجي، محمد عبد المنعم، الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد حتى العصر الحديث. دار الجيل، ط1، بيروت، 1990م.
7. خلوصي، صفاء، فن التقطيع الشعري والقافية. مكتبة المثنى، ط6، بغداد، 1977م.
8. سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر المملوكي. دار المعارف، القاهرة، 1985م.

9. سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك**. مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 1965م.
10. شيخ، أمين بكري، **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني**. بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1979م.
11. الصاوي، مصطفى، **البلاغة العربية تأصيل وتجديد**. دار المعارف، الإسكندرية، 2002م.
12. ضيف، شوقي، **في النقد الأدبي**. دار المعارف، ط2، القاهرة، 1966م.
13. أبو العدوس، يوسف، **البلاغة والأسلوبية**. دار المسيرة للنشر، ط1، 2007م.
14. عمر بن أبي ربيعة، **الديوان**. شرح: يوسف بكر فرحات، ط1، دار الجيل، بيروت، 1980م.
15. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر (ت732هـ): **تنمة المختصر في أخبار البشر**. المطبعة الحسينية المصرية، ط1، القاهرة، 1997.
16. الفقي، محمد كامل، **الأدب العربي في العصر المملوكي**. دار الموقف العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 1984م.
17. قلقيلة، عبدة عبد العزيز، **النقد الأدبي في العصر المملوكي**. مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1972م.
18. محمد، محمود سالم:
- أ) **الأدب العربي في العصر المملوكي**. دمشق، 2017م.
- ب) **ابن نباتة شاعر العصر المملوكي**. دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1999م.
19. المقرئزي، أبو العباس أحمد بن علي (ت845هـ):
- أ) **السلوك لمعرفة دول الملوك**. تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 1956م.
- ب) **المقفى الكبير**. تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1991م.
20. أبو النجا، أشرف محمود، **قصيدة المديح في الأندلس وقضاياها الموضوعية والفنية (عصر الطوائف والمرابطين)**. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2003م.
21. الهيب أحمد فوزي، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء**. مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1986م.

فهرس الموضوعات

الإهداء.....	4
إقرار.....	أ
الشكر والعرفان.....	ب
الملخص في اللغة العربية.....	ج
الملخص في اللغة الانجليزية.....	د
المقدمة.....	هـ
تمهيد.....	1

الفصل الأول: سيرة ابن نباتة المصري وآل فضل الله العمري..... 11

المبحث الأول سيرة ابن نباتة المصري:.....	12
أولاً_ اسمه ولقبه وكنيته.....	12
ثانياً_ نسبته ونشأته.....	12
ثالثاً_ شيوخه.....	13
رابعاً_ مراحل حياته.....	14
خامساً_ طريقته في النثر والنظم.....	16
سادساً_ موضوعات شعره.....	17
سابعاً_ تلاميذه.....	17
ثامناً_ وفاته.....	18
تاسعاً_ علاقة الشاعر بممدوحيه من آل فضل الله.....	19

المبحث الثاني آل فضل الله العمري:..... 29

أولاً_ محيي الدين بن فضل الله العمري (ت 738هـ).....	29
ثانياً_ القاضي شرف الدين بن فضل الله العمري (ت 717هـ).....	30
ثالثاً_ بدر الدين بن فضل الله العمري (ت 746هـ).....	30
رابعاً_ بدر الدين بن فضل الله (ت 706هـ).....	30
خامساً_ علاء الدين بن فضل الله العمري (ت 769هـ).....	30
سادساً_ شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري (ت 749هـ).....	32

الفصلُ الثَّاني: الدَّرَاسَةُ المَوْضُوعِيَّةُ "صورة آل فضل الله في ديوان ابن نباتة المصري" 37

- المبحث الأول: صورة آل فضل الله بعامة: 38
- المبحث الثاني: المكانة السياسية لآل فضل الله العمري 42
- المبحث الثالث: صورة آل فضل الله في الكرم 52
- المبحث الرابع: صورة آل فضل الله ذات النَّسَب الرفيع 61
- المبحث الخامس: صورة آل فضل الله في العلم والأدب 66
- المبحث السادس: صورة آل فضل الله الدِّينية 72

الفصلُ الثَّالث: الدَّرَاسَةُ الفَنِّيَّة 77

- المبحث الأول: اللُّغة 79
- المبحث الثاني: الأسلوب 87
- المبحث الثالث: الخيال 110
- المبحث الرابع: الموسيقى 114

الخاتمة 120

- الفهارس الفنية 122
- فهرس الآيات القرآنية 123
- فهرس أطراف الأحاديث 123
- فهرس ألفبائي لمطالع القصائد والمقطعات 124
- فهرس الأعلام 130
- فهرس البلدان والأماكن 131
- قائمة المصادر والمراجع: 132
- فهرس الموضوعات 137